سلسلة ذخائر التراث الأدبي المغربي (51)

ديوان عبد العزيز الملزوزي

أبي فارس عبد العزيز بن عبد الرحمان بن محمد الملزوزي المكناسي

(ت 697 هـ)

بسم الله الرحمان الرحيم

مقامة طرفة الظريف، في أهل الجزيرة وطريف:

...قال عبد العزيز، فكتمته ولكبدي أزيز، فقالوا لأحدهم: خذ ورقنا أيها الرجل الظريف، وسق لنا بها من طرائف طريف، فكان رجوعه بالطرائف والظرف، قبل أن يرتد الى الطرف، فقلت إن الرايس صادق، وإنه بالمراسي حاذق: فقمت وما خفت من بأسهم، وعلمت أن ذلك أكثر لباسهم، فلما اطلعت عليهم، ووصلت إليهم، رأيتهم حوصلوا، وما بسملوا، وأكلوا، وعني نكلوا، وأخذ كل منهم نصيبه، ولم يشارك في الاكل نزيله ولا نسيبه، وسمعتهم يذكرون العنكمة، ويقولون لكل جمجمة جمجمة، وكلهم ينظر صاحبه شزرا، ولم يشدد به أزرا: وهو يحوصل ويزدرد، ولقمه تطرد، فعندما أكلوا اجتمعوا، وأصغوا لحدثهم واستمعوا، فقلت له: خيبكم الله وقبحكم، ومساكم في الذل وصبحكم، مالي رأيتكم قبل كالإخوان، ففرقكم ما سيق في الخوان، فأنشدتهم تعنيفا وتخفيفا، وما قصدت تطفيفا:

من أي أرض خرجتم إن ذا عجب لا ترتضي فعلكم عجم ولا عرب

كنتم على الرحل إخوانا فقرقكم ما في الخوان فزال اللهو والطرب

هلا أكلتم جميعا لا أبالكم وخص بعضكم بعضا بما يجب

فصرتم كيتامى غاب والدهم فأظهروا الشح في الميراث واحتسبوا

بل أنتم كلاب عند جيفتهم بعض ينال وبعض خلفه يثب

هذا دليل على أن ليس عندكم يا أهل أندلس فضل ولا حسب

فقاموا إلي سراعا، فلم يجدوني مراعا، وقالوا إن كان الحسب فمن قبائلنا ظهر، ومن عند آبائنا الأقدمين قد اشتهر، فقلت: كل نجيب نبيه، يفخر بنفسه لا بأبيه، فاعرضوا علي نسبكم واذكروا بين يدي حسبكم فقال الاول: أنا من الأوس، وإسمي طوس، وصناعتي الرمي بالقوس، وقال الثاني: أنا من الخزرج، ولقبي المدرج، وصناعتي تبديل النضار بالبهرج، وقال الثالث: أنا من كندة، وإسمي شندة، وصناعتي الحياكة بجرندة وقال الرابع: أنا من غسان، وإسمي حسان، وصناعتي نسج الطيلسان، وقال الخامس: أنا من حمير، وإسمي مهير، وصناعتي نقل البعير، وقال السادس: أنا من كنانة، وإسمي قنانة، وبضاعتي حمل الكنانة، وقال السابع: أنا من لخم، وإسمي

ضخم، وحرفتي الرقم، وقال الثامن: أنا من جذام، وإسمي جزام، وصناعتي نسج الحزام، وقال التاسع: أنا من فزار، وإسمي نزار، وحرفتي بيع الابزار، وقال العاشر: أنا من طي، ولقبي زرطي، وصناعتي النشر والطي، فلما عرضوا علي قبائلهم، وذكروا آباءهم وفضائلهم، قلت: هؤلاء الذين جازوا مع طارق، وافتتحوا الأندلس وقتلوا البطارق، فطفقت أدعوا كل أحد بقبيلته، وأذكر فخره وسوء سبيله. فناديت بطوس، المنتسب الى الأوس:

ألا يا طوس إن الأوس كانوا ضراغمة إذا كان الطعان

ركوبهم السوابق في الهياجي ودأبهم الفصاحة والبيان

وهم آووا وهم نصروا نبيا عليه الوحي نزل والقرآن

إذا افتخروا فهم فخروا بمجد وعز ليس يدركه الهوان

فمالك يا طويس بهم فخار لأنك باخل نذل مهان

بنفسك فافتخر إن شئت فخرا ودع: أجدادنا كانوا وكانوا

فقد تلد القبيحة ذات حسن   وقد تلد الحزمة الحسان

وقد يلد الشجاع جبان قوم   وقد يلد الضراغمة الجبان

وقد يرعى الحصان ربيع أرض   وخلفته يموت بها الحصان

كذاك قبيلة الأشراف تفنى   ويحييها كريم لا يهان

وإنك يا طويس بضد هذا   مرادك في الورى خمر وبان

متى كانت جدودك يا طويس   لباسهم الزنانرة الخشان

فليت الأوس ما ولدت طويسا   فلولاه لكان لها الأمان

لقد غيرت أصلك يا طويسا   مجاهرة فغيرك الزمان

ثم ناديت المدرج، المنتسب للخزرج:

سألتك بالله يا مدرج   أما هكذا كانت الخزرج

وهم نصروا أحمد المصطفى وكان العداة له أدرجوا

وكم جدلوا الأسد وسط الوغى وكم نار حرب بها أججوا

فمن ذا ينال مدى فخرهم وفخرهم عنكم مدمج

بنفسك فافخر وخل الجدود وفاخر بفعلك يا مدرج

رأيتك للروم ذا خلة وأنت على نسجهم تنسج

تزي بزي النصارى الكلاب فأنت بزيهم تبهج

لقد بعت منهم نضار النضار بشيء يقال له البهرج

تركت الجدود وما أثلوا فلا الدين باق ولا المنهج

إذا كنت لا تتقي ربنا فما لك من شدة تخرج

وإني لأدري بطول المدى بأنك عن ديننا تخرج

فتنفست الصعداء، وقلت. إنا لله تغيرت الأنصار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأنشدت:

اليوم صار البخل في الأمصار والـلؤم تحت عمائم الأنصار

لو كان قيس أو عوانة أبصرا فعل الأواخر من بني النجار

وهم تغير دينهم ولباسهم وتمذهبوا بمذاهب الكفار

عضوا أناملهم على أحسابهم وشكوهم في الحشر للمختار

ثم ناديت بشنرة، المنتسب لكندة:

يا شنرة كندة تعزى لها الفطن والنظم والنثر والأفضال والمنن

من كندة كانت الأشعار واختتمت بكندة ثم لاشيء يرى حسن

فالأول الملك الضليل شاعرنا والآخر المتنبي الشاعر الفطن

إن كنت ياشنرة بالأصل مفتخرا فاذهب فأنت لحاك الله ممتهن

كانوا أسودا وكانوا قد سموا كرما وأنت ويحك فيك البخل والجبن

الخيل والليل والبيداء تعرفهم وأنت يعرفك القنوط والبدن

فلو نسجت على منوالهم لغدا يزهو بك الدهر والأمصار والمدن

لكن نسجت على منوال حاكتنا فخانك الدهر واستولت بك المحن

ثم ناديت بحسان، المنتسب لغسان:

اسمع كلام الحق يا حسان فأنا الذي قد شيبت غسان

ما أنت أول من تنصر منهم وتلاعبت بعقوله الصلبان

هم ألهموك وعلموك طبيعة وشريعة يرضى بها الشيطان

فانظر (فتوح الشام) تعلم أنهم قد غيروا دين النبي وخانوا

وجدوا ببنات الروم بيضا كالدمى وحليها الياقوت والمرجان

فتنصروا وتدجنوا من بعدما ركنوا الى الإسلام يا حسان

فجدودك الإفرنج فانهض نحوهم فهنالك الأعمام والإخوان

لافخر عندك أول أو آخر خل الفخار كذاك قومك كانوا

ثم ناديت بمهير، المنتسب لحمير:

يا مهير، قطب المفاخر حمير ولها المكارم والعلاء الأكبر

ملكوا المشارق والمغارب عنوة وزهت بملكهم الدنا والأعصر

بسيوفهم قهر التبابع التبع حتى أطاعت عربها والبربر

قادوا الجيوش إلى العدا وتملكوا حتى تخوف من أبوه الأصفر

أما الفصاحة والبراعة والندى فهم الذين جميعا قد أظهروا

بكلامهم نزل القرآن مبينا لما حوت كل الفصاحة حمير

إن العمائم في الوغى تيجانهم ورکوبهم فيها العتاق الضمر

هم سادة العرب الذين تسودوا ففخارهم عند الورى لا ينكر

لو كنت تفعل فعلهم يا مهيز ما كنت جهلا دونهم تتنصر

بنوا الفخار وأنت تهدم ما بنوا وصفت موارِدهم وأنت تكدر

عبرت إذ عيرت سيرة من مضى من معشر خير الخصال تخيروا

فإذا سكت سكت ألفا جاهلا وإذا نطقت نطقت خلفا تبهر

ثم ناديت بقنانة المنتسب لكنانة:

إلى كم أنت تشقى يا قنانة وتذهب بالرسائل في الكنانة

بقومك تضرب الأمثال فاسمع لقول الناس: أفصح من كنانة

لقد أفنيت عمرك في المعاصي وبدلت الفطانة بالرطانة

سألتك بالذي أولاك نجلا وأحرمك السعادة والديانة

الى م تسير ويحك في الفيافي وتسعى في مرضاة الريانة

فلا دين ولا دنيا تراها ولا عرض يصان ولا صيانه

أزل عنك التشبه بالنصارى وعد لفعال قومك يا زعانه

ثم ناديت بضخم المنتسب للخم:

يا ضخم سارت بالمعالي لخم فالعزم والحزم لها والفهم

والفخر والنثر معا والنظم لو كنت يا ضخم لفخر تسمو

لم يعش ما حازت ويبقى الرقم

ثم ناديت بجذام المنتسب الى جذام:

بلاك الله باسمك يا جذام ولاقتك المصائب والحمام

رأيتك يا جذام تحيد عما بنت من مفخر قدما جذام

لقد نامت جفونك عن علاها وغيرك عن علاها لا ينام

فمالك قد رجعت فتى وضيعا وقومك سادة غر كرام

أمن هذي البلاد كسبت بخلا فإن أناسها كلا لئام

فقال نعم فدتك النفس إني أتيت لأهلها وأنا غلام

فما زالت بي الأيام حتى تعلمت الوضاعة يا همام

طباع المرء تنقص كل يوم إذا ما طال عندهم المقام

إذا صاحبتهم في الدهر يوما فإنك في الوضاعة لا تلام

ثم ناديت بنزار المنتسب لفزاز:

نزار يا نزار يا نزار عليك في اللوم هو الحدار

ما أنت إلا رجل خوار لباسك الغشكون والزنار

وأكلك الخنزير والعقار لا خير يرجو من يديك الجار

كيف وقد هذبك الجدار

ثم ناديت بزرطي، المنتسب لطي:

يا زرطي يا زرطي جدي قل حاتم طي

ذاك الكريم والسخي أما أنا ما أنا شي

إذا أتى وقت الغذى آكل وحدي في طوي

فلو تراني يا أخي عندي ضوار في الندي

لا تترك الخل الصفي يطرقني بغير شي

إذا سمعن طي طي جاوبنه بهي هي

فلما سمعوا شعر زرطي ماتوا ضحكا، فسرت عنهم ولم أخف دركا، ولو لم أتعمدهم بذلك لعرضوني للمهالك، والله يعلم أني ما قلت إلا حقا، وما أظهرت من الحقائق إلا حقا.

فدخلت طريف، فوجدتها بضد اسمها، فدعوت الله تعالى بمحو رسمها، ورأيت القصبة أضيق من أنبوب القصبة، وكدت أهلك بنسيمها الأذفر لولا حضور المسك الاذفر، فأنشدت:

يا أهل أندلس غلطتم ويحكم في اسم الجزيرة عندكم وطريف

سميتم الخضراء وهي بضدها وكذا طريف وهو غير طريف

وأقسمت حينئذ بالذي وضع الغبراء، ورفع الخضراء، لأيمن الجزيرة الخضراء، فوليت عن طريف مشمرا، وأليت إلى الجزيرة متنمرا، فدخلتها وخليت خلفي، زادي وعدتي وإلفي، في يوم كثر أوراه، وظهر من ساكنها عواره لأني لم أكن أعلم أنهم أهل الجدار، الذين عليهم في البخل المدار، فقلت لهم اسقوني من الماء جرعة، فقد أصابتني غلة ولوعة، فقال أحدهم: هات حقها، وتكون مستحقها، وإلا فالماء خارج الجزيرة، ومشاربه غزيرة، فأنشدت:

قد كنت أطمع في الخضراء أسكنها دهرا وألزمها بالاهل والولد

حتى رأيت بها قوما قد انفردوا باللؤم والبخل والتقتير والحسد

إن جئت تطلب ماء من ديارهم قالوا لك: الماء يجري خارج البلد

فإن أتيت الى نار لتوقدها قالوا: اشتر النار وأقرب نحوها وقد

إن كانت النار تشري عند أندلس فكيف يدخلها غاز مدى الأبد ؟

علي نذر إذا فارقت أندلسا ترك الحصان وترك المال والعدد

فخرجت عن ناديهم وسرت لأشرب من واديهم فوجدته ملحا أجاجا، لافراتا ولا ثجاجا، وقد تغير لونه، وصار كالعدم كونه، فقلت:

سألتكم بربنا عز وجل هذا الذي تدعونه وادي العسل

فهل قصدتم باسمه ضرب المثل أو هل وجدتم طعمه مثل العسل

فرجعت عنه كأني ظمآن غره السراب، إذ وجدته كالمهل يشوي الوجوه وبئس الشراب، ثم التفت الى جدار أخلق الزمان بناءه، ولم يصرف إليه أحد اعتناءه، وقلت لمن حضر من أهل الجزيرة، وقد ملأ من الماء زيره: ما بال هذا الجدار قد هدم، أحي صاحبه أم عدم، فقال: هو للغلامين اليتيمين، الفقيرين العديمين، الذي وجده الخضر يريد أن ينقض فأقامه ولم يستطع مع صاحبه صلى الله عليه وسلم إقامة، وهذه القرية التي استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، وبخلوا

عليهما بالطعام وعنفوهما، وشؤم الجدار معروف، وبخل أهل قرية في القرآن موصوف، فأنشدت:

أترجو الفضل في أهل الجدار حذار حذار لا تطمع حذار

أتاهم ليلة موسى وموسى فباتا بالطوى خلف الجدار

إذا منعوا نبيهم طعاما وصاحبه فكيف يكون سار

فلو علم الإله هناك فضلا لما تركوهما تحت القفار

سأرحل من بلاد ليس فيها مكان للإقامة والقرار

أما والله إن منعوا جوازي رميت النفس في لجج البحار

فما يترجى من قوم تغيرت ألسنتهم وأقوالهم، وتبدلت سيرهم وأحوالهم، يرون الخطأ صوابا، والمآثم ثوابا، قد قرأوا الخيانة قبل الديانة وتعلموا الوضاعة، قبل الرضاعة:

فكأنها خلقت موافقة لهم دون الورى وكأنما خلقوا لها

لافرق عندهم بين الفلك والفلق، ولا بين الملك والملق، والحبك والحبق، والشرك والشرق، والدرك والدرق، قد رجع سلامهم سليما، وكلامهم كليما، فقس على ذلك تصب، فإنه على ذلك المنهاج نصب، ومن غريب ما اتفق لي فيها حين كنت أوافيها، أني مررت بإمام يصلي بالناس، وهو يقرأ بقل أعوذ برب الناس:

قد بدل الوسواس بالوسويس وكذلك الخناس بالخنيس

وكذاك بدل آية في آية حتى يوسوس في صدور النيس

فأمهلته ريثما أتم صلاته وقراءته، ولبس عباءته وملاءته، فابتدأته بأشد العتاب، وقلت له: لم بدلت الكتاب، وإثمه على الذين يبدلونه، ووزره عليهم يحملونه، فأقسم أنه قرأه كذلك على قراء عصره، وأن ذلك لغة أهل عدوته ومصره، فقلت:

يا أهل أندلس مالي رأيتكم أحدثتم في كتاب الله ألحانا

نبذتموه وبدلتم معانيه عما بمصحف عثمان بن عفان

صلوا الصلاة ولا تقروا بها سورا فقد رددتم على فريق فرقانا

بدلتم القول حتى قول خالقنا لقد أتيتم لعمرو الله بهتانا

وإن دعوتم لحنتم في دعائكم فكيف تستوجبون الدهر غفرانا

رب العباد غني عن دعائكم ونحن أيضا عن التأمين أغنانا

وجلست يوما عند القاضي ابن عزرة، وكنت في الأحكام لا أقبل عذره، فإذا برجل مقبل، لدموعه مسبل، فلما قرب منا تنهد، وأنشد:

أبصرت شابا يا فقيه حكيما فأريته مما ادخرت عليما

أخذ العليم ورده في بيته وأبى يفارقه فبت سقيما

فأخذته بظاهر قوله ولفظه، وأنشدته جوابا بعد عن فهم القاضي وحفظه:

إن كان حقا ما تقول فإنه عدل رضى فازدد به تعظيما

تا الله لو أعطى عليما مثله ما بت مفتقرا ولا مهموما

فلما سمع القاضي البيتين، صفق بالراحتين وقال لي ويحك، قد عرضت نفسك لانكار الودائع، ونصبت للناس الخدائع، فقلت له: أنت بالمعاني جاهل، وعن الحقائق ذاهل:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم

وإذا بشاب أودع رجلا مالا، واحتمله له احتمالا، فلما قرب من موضع الأول، أنشد وأعول:

لي عند هذا يابن عذرة ميل والميل ميلي ساقة الحميل

أودعته بالأمس في صندوقه فسخا به كلا فمر الميل

فأجبته هذا محال باطل فأذهب فإنك أحمق مذهول

لا تستطيع الفلك تحمل ربعه كيف الصنيدق ما لذاك سبيل

قالوا جهلت الحكم فيما بيننا قلت اذهبوا ما في الجزيرة قيل

فقام القاضي وقعد، ودنى وابتعد، وقال: لقد أفرطت في العقوق، وفرطت في أخذ الحقوق،

فقلت له: هذا وأبيك الجواب، والذي قلت هو الصواب، فبينما نحن نطيل الكلام، ونكثر الملام وإذا بثالث قد ادعى على رجل أنه قتل له حماما، ودمعه ينسجم انسجاما، وهو يضرب على خديه. بيديه، فلما دنا منا تنفس الصعداء، وأدهش الاقربين والبعداء، وقال:

ألا قل لابن عذرة يا فقيها حمى أحكامه وحوى العلوما

فديت أصاب لي هذا حميما فخلفه صريعا لن يقوما

أتيت به من أسجه صغيرا وكنت أحبه حبا عظيما

فآنسني وكنت له أنيسا وصرت به، وإن يجفو، رحيما

تركت الأم تندبه وتبكي كما بكت الهديل به قديما

فخذ لي يابن عذرة منه حقي فما لاقيت مذ أودى نديما

ثم التفت إلى قاتل حمامه، وجاوبته بجاوبة أذنته لحمامه:

فقلت اسمع مقالته وأوجز وبين لي الطريق المستقيما

أما تخشى إذا أنكرت يوما يخاف به معاينه الجحيما

ولا يدري الصديق به صديقا ولا يسل الحميم به حميما

فقال: الحق ما قد قال خصمي نعم إني قتلت له حميما

فلما أقر بالقتل، واعترف بالختل، قلت للحرس خذوه، وإياكم أن تنقذوه، واحملوه للموت، وعجلوا به للفوت، فعندما رأى القاضي عزمي، وإنفاذ حكمي، زفر زفرة الغيظ، وكاد يتميز من الغيظ، وقال رفقا يا عبد العزيز، سألتك بالملك العزيز، فقد خالفت في الأحكام، وحدت فيها عن منهاج الحكام، فقلت له: تدبر أحكامي، وتعجب من بدائع

أحكامي، فإن الحميم الصاحب، والحمام النادب، فانصرفت وتركت القاضي على جهالته، وخلفته على ضلالته، وسألت فتى لم يزل لهم مجاورا، وكان ملتزما لأخبارهم، عارفا بأخبارهم، لم صار كلامهم كليما، وسلامهم سليما، فقال:

أبثك يا فتى سرا خفيا   به صار السلام لهم سليما

وذلك أن موسى حين وافى   قريتهم وصاحبه الكليما

وقد طلبا المضاف فما أضيفا   ولم يجدا بها حرا كريما

...

لكي يدري الأنام بأن موسى   عليه وخله بخلوا قديما

فقس أقوالهم بفعيل كلا   تجد ما قلته لك مستقيما

ولما طال في الجزيرة المقام المتوالي، في صحبة المقام العالي خشيت أن تفسد الطباع وتستنجع السباع والجمر يخمد إن وضع في الرماد، ولؤم الجزيرة يؤثر حتى في الجماد ومازلت أدعوا الله أن يهون في جواز السلطان، ويبلغنا الأوطان، فقعدت يوم ارتحالي منها، ومسيرتي عنها، مع الفقيه الأسنى أبي فارس عبد العزيز العمراني كاتب الخلافة، وكنت أختار دون الناس ائتلافه، فما زلنا نجيل في الرحيل الأفكار، ونكثر منه الأذكار، وإذا بغراب قد نعق، وأدهش الناس بعق عق، فأنشدت:

إذا نعق الغراب على الجزيرة فابشر إن فرقتها يسيرة

فقال الفقيه المذكور:

فعول أن نجوز بغير شك فإن عجائب الدنيا كثيرة

فوالله ما أتممنا البيتين بالارتجال، إلا وشرع أمير المسلمين في الارتحال، فعندما تركت الجزيرة خلفي، وطمعت في اجتماعي بإلفي، نظرت إليها بعدما أبعدتها، وأمسكت لحيتي في يدي وأنشدتها:

إذا ما عدت نحوك فاحلقيها بموسى أو بقار فانتفيها

وقل للجزيرة الخضراء مهما ركبت الفلك نحوك غرقيها

فما أبصرت في الخضراء إلا وجوها يستبين اللؤم فيها

إنتهى.

وقال رحمه الله:

أعلمت بعدك زفرتي وأنيني ... وصبابتي يوم النّوى وشجوني ؟

أودعت إذ ودّعت وجدا في الحشا ... ما إن تزال سهامه تصميني

ورقيب شوقك حاضر مترقّب ... إن رمت صبرا بالأسى يغريني

من بعد بعدك ما ركنت لراحة ... يوما ولا غاضت عليك شؤوني

قد كنت أبكي الدمع أبيض ناصعا ... فاليوم تبكي بالدّماء جفوني

قل للذين قد ادّعوا فرط الهوى ... إن شئتم علم الهوى فسلوني

إنّي أخذت كثيره عن عروة ... ورويت سائره عن المجنون

هذي روايتنا عن اشياخ الهوى ... فإن ادّعيتم غيرها فأروني

يا ساكني أكناف رملة عالج ... ظفرت بظبيكم الغرير يميني

كم بات في جنح الظلام معانقي ... ومجنت في صفر إلى مجنون

في روضة نمّ النسيم بعرفها ... وكذاك عرف الرّوض غير مصون

والورق من فوق الغصون ترنّمت ... فتريك بالألحان أيّ فنون

تصغي الغصون لما تقول فتنثني ... طربا لها فاعجب لميل غصون

والأرض قد لبست غلائل سندس ... قد كلّلت باللؤلؤ المكنون

تاهت على زهر السماء بزهرها ... وعلى البدور بوجهها الميمون

ودخل على الأمير عبد الواحد شاعره عبد العزيز الملزوزي في يوم من شهر رمضان وهو بقصره بحضرة مراكش وكان يوما قد استترت فيه السماء بالسحاب، والنهار يبكي بالدموع كأنه عاشق صد عنه حبيبه، وتعطلت دموعه، وكان الرعد يهدر هدرته، والبرق. وكان المجلس الذي كان فيه الأمير قد فرش بأصناف الرياحين والورد والبنفسج (...) فقال له الأمير عبد الواحد: يا عبد العزيز أرأيت ما أحسن هذا النهار، لو كان في غير شهر الصوم، ثم أمره أن يقول في ذلك المعنى شعرا..

فقال الملزوزي مخبراً عن الأمير أبي مالك:

دعاني يوما والسما قد ارتدت بالسحائب ... والغيث يبكي بالدموع السّواكب

كأنه عاشق صدّ عنه حبيبه ... ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبه

ولم يرق له مدمع ... كأنه لم يبق له فيه مطمع

فكان الوعد حسرته ... والبرق لوعته وزفرته

فقال لي: ما أحسن هذا اليوم ... لو كان في غير شهر الصوم

فاقترح غاية الاقتراح عليّ ... وقال: قل فيه شعرا بين يديّ

قال أبو فارس: وكان أمير المسلمين أبو يوسف سار إلى مدينة سلا، فبويع بها ولده أبو يعقوب، وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام أحد وسبعين وستمائة، يوم مولد النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأنشدته يوم بيعته هذه القصيدة ورفعتها إليه:

يا ظبية الوعساء، قد برح الخفا ... إنّي صبرت على غرامك ما كفى

كم قد عصيت على هواك عواذلي ... وأناب بالتّبعيد منك وبالجفا

حمّلتني ما لا أطيق من الهوى ... وسقيتني من غنج لحظك قرقفا

وكسوتني ثوب النحول فمنظري ... للناظرين عن البيان قد اختفى

هذا قتيلك فارحميه فإنه ... قد صار من فرط النحول على شفا

لهفي على زمن تقضّى بالحمى ... وعلى محلّ بالأجيرع قد عفا

أترى يعود الشّمل كيف عهدته ... ويصير بعد فراقه متألّفا؟

لله درّك يا سلا من بلدة ... من لم يعاين مثل حسنك ما اشتفا

قد حزتَ برّا ثم بحرا طاميا ... وبذاك زدتَ ملاحة وتزخرفا

فإذا رأيتَ بها القطائع خلتها ... طيرا يحوم على الورود مرفرفا

والجاذفين على الرّكيب كأنهم ... قوم قد اتخذوا إماما مسرفا

جعل الصّلاة لهم ركوعا كلها ... وأتى ليشرع في السجود مخفّفا

والموج يأتي كالجبال عبابه ... فتظنّه فوق المنازل مشرفا

حتى إذا ما الموج أبصر حدّه ... غضّ العنان عن السّرى وتوقّفا

فكأنّه جيش تعاظم كثرة ... قد جاء مزدحما يبايع يوسفا

ملك به ترضى الخلافة والعلا ... وبه تجدّد في الرّئاسة ما عفا

من لم يزل يسبي الفوارس في الوغى ... إن سلّ في يوم الكريهة مرهفا

ألفت محبّته القلوب لأنه ... ملك لنا بالجود أضحى متحفا

ألقى إليه الأمر والده الذي ... عن كل خطب في الورى ما استنكفا

يعقوب الملك الهمام المجتبى ... الماجد الأوفى الرحيم الأرأفا

يهواه من دون البنين كأنما ... يعقوب يعقوب ويوسف يوسفا

طوبى لمن في الناس قبّل كفّه ... والويل منه لمن غدا متوقّفا

أعطاك ربّك وارتضاك لخلقه ... فاقتل بسيفك من أبى وتخلّفا

وامدد يمينك للوفود فكلهم ... لليوم عاد مؤمّلا متشوّفا

فاليوم لا تخشى النّعاج ذئابها ... ويعود من يسطو بها متعطّفا

صلح الزمان فلا عدوّ يتّقى ... لم يخش خلق في علاك تخوّفا

لم لا وعدلك للبريّة شامل؟ ... طبعا وغيرك لا يزال تكلّفا

يا من سررت بملكه وعلائه ... اليوم أعلم أنّ دهري أنصفا

فإذا ملكت فكن وفيّا حازما ... واعلم بأنّ الملك يصلح بالوفا

وأفض بذلك للوجود وكن لهم ... كهفا وكن ببعيدهم مستعطفا

فالجود يصلح ما تعلّم في العلا ... وسواه يفسد في الخلافة ما صفا

إنّ البريّة في يديك زمامها ... فاحذر فديتك أن تكون معنّفا

يا من تسربل بالمكارم والعلا ... ما زال حاسدكم يزيد تأسّفا

خذها إليك قصيدة من شاعر ... في نظم شعرك كيف شاء تصرّفا

خضع الكلام له فصار كعبده ... ما شاء يصنع ناظما ومؤلّفا

لا زالت الأمجاد تخدم مجدكم ... ما زارت الحجّاج مروة والصّفا

وقال:

صرفت لخير صدر في الزمان ... عريق في أصالته عنان

كريم المنتمى من خير بيت ... سليل مجادة ورفيع شان

رحيب بان فضل غير وان ... عن الأفضال في هذا الأوان

وقال:

اليوم يوم نزهة وعقار ... وتقرّب الآمال والأوطار

أو ما ترى شمس النهار قد اختفت ... وتسترّت عن أعين النظّار

والغيث سحّ غمامه فكأنّه ... دنف بكى من شدّة التذكار

والبرق لاح من السماء كأنه ... سيف تألّق في سماء غبار

لا شيء أحسن فيه من نيل المنى ... بمدامة تبدو كشعلة نار

لولا صيام عاقني عن شربها ... لخلعت في هذا النهار عذاري

لو كان يمكن أن يعار أعرته ... وأصوم شهرا في مكان نهار

لكن تركت سروره ومدامه ... حتى أكون لديه ذا أفكار

ونديرها في الكأس بين نواهد ... تجلو الهموم بنغمة الأوتار

فجفونها تغنيك عن أكواسها ... وخدودها تغنيك عن أزهار

فشكره لما سمعه غاية الشكر، وقال: أسكرتنا بشعرك من غير سكر.

وذكر أن الأمير عبد الواحد أجازه بخمسمائة دينار وكسوة ولكن الوكيل بذلك أعطاه الدراهم ناقصة وأعطاه الكسوة من أثواب خشنة، وكان الوكيل حاجا، فكتب الشاعر إلى الأمير يشكو إليه فيها من فعل الحاج الوكيل، ومما جاء في شكاته قوله:

إن كانت الحجاج طرا مثله ... لا بارك الرحمن في الحجاج

فضحك الأمير وأمر بإنصافه وتعويضه.

وزار الأمير شاعره حين علم بمرضه من حمى أصابته بمراكش، وكان بدا يخف منها فسأله عن حاله فأجاب :

لمراكش فضل على كل بلدة ... وما أبصرت عين لها من مشابه

وما هي إلا جنة قد تزخرفت ... ولكنها حفت لنا بالمكـــاره

وقال أيضا بعد انتصار المنصور بحضور ولديه مالك وأبي يعقوب على أمير تلمسان يغمراس سنة 670 والتي يصف فيها القتال ويمدحه فيها بقوله :

أبا مالك لازالت للملك مالكا ... لك السعد بيت والسيوف تمائـــم

أتاكم به يغمور يقدم جمعـــه ... ولم يدر أن الحين في الجيش قادم

فمزق ذاك الجيش كل ممـزق ... كما مزقت ميتا بقبر قشاعـــم

هنيئا لكم نصر مبين على العدا ... وطول سعود شأنها متـــــداوم

ومن شعره في رثاء الأمير أبي مالك:

سهم المنيّة أين منه فرار ... من في البريّة من رجاه يجار

حكم الزمان على الخلائق بالفنا ... فالدار لا يبقى بها ديّار

عش ما تشاء فإنّ غايتك الرّدى ... يبلى الزمان وتذهب الأعمار

فاحذر مسالمة الزمان وأمنه ... إنّ الزمان بأهله غدّار

وانظر إلى الأمراء قد سكنوا الثرى ... وعليهم كأس المنون تدار

تركوا القصور لغيرهم وترحّلوا ... ومن اللّحود عليهم أستار

قد وسّدوا بعد الحرير جنادلا ... ومن اللحود عليهم أستار

منعوا القباب وأسكنوا بطن الثرى ... حكمت بذاك عليهم الأقدار

لم تنفع الجرد الجياد ولا القنا ... يوم الرّدى والعسكر الجرّار

في موت عبد الواحد الملك الرّضا ... لجميع أملاك الورى إنذار

أن ليس يبقى في الملوك مملّك ... إلّا أتته منيّة وبوار

ناديته والحزن خامر مهجتي ... والقلب فيه لوعة وأوار

يا من ببطن الأرض أصبح آفلا ... أتغيب في بطن الثرى الأقمار؟

أين الذين عهدت صفو ودادهم ... هل فيهم بعد الرّدى لك جار؟

تركوك في بطن الثرى وتشاغلوا ... بعلا سواك فهجرهم إنكار

لما وقفت بقبره مترّحما ... حان العزاء وهاجني استعبار

فبكيت دمعا لو بكت بمثاله ... غرّ السّحائب لم تكن أمطار

يا زائريه استغفروا لمليككم ... ملك الملوك فإنه غفّار

ومن ذلك قصيدة كتبها ابن الأحمر سنة أربع وسبعين وستمائة بعد واقعة ذنّنه واعتزامه على الرجوع إلى المغرب، فخاطب بها سلطان المغرب يعقوب بن عبد الحق ليلة الإقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو، وينحو فيها منحى الاستعطاف وهي من نظم كاتبه أبي عمر بن المرابط:

هل من معيني في الهوى أو منجدي ... من متهم في الأرض أو من منجد

هذا الهوى داع فهل من مسعف ... بإجابة وإنابة أو مسعد

هذا سبيل الرشد قد وضحت فهل ... بالعدوتين من امرئ مسترشد

يرجو النجاة بجنّة الفردوس أو ... يخشى المصير إلى الجحيم الموقد

يا آمل النصر العزيز على العدا ... أجب الهدى تسعد به وتؤيّد

سرّ النجاة إلى النجاة مشمّرا ... إنّ الهدى لهو النجاة لمن هدي

يا من يقول غدا أتوب ولا غد ... ألديك علم أن تعيش إلى غد

لا تغترر بنسيئة الأجل الّذي ... إن لم يحن لك نقده فكأن قد

سفر عليك طويلة أيامه ... لم تستعدّا لطوله فاستعدد

أو ما علمت بأنّه لا بدّ من ... زاد لكلّ مسافر فتزوّد

هذا الجهاد رئيس أعمال التقى ... خذمنه زادك لارتحالك تسعد

هذا الرباط بأرض أندلس فرح ... منه لما يرضي إلهك واغتدي

سوّدت وجهك بالمعاصي فالتمس ... وجها للقيا الله غير مسوّد

وامح الخطايا بالدموع فربّما ... محت الدموع خطيئة المتعمد

من ذا يتوب لربّه من ذنبه ... أو يقتدي بنبيّه أو يهتدي

وتعوّضت منهم بكلّ معاند ... مستكبر قد كان لم يتشهّد

كم من أسير عندهم وأسيرة ... فكلاهما يبغي الفداء فما فدي

كم من عقيلة معشر معقولة ... فيهم تودّ لو انها في ملحد

كم من وليد بينهم قد ودّ من ... ولداه ودّا أنّه لم يولد

كم من تقيّ في السلاسل موثق ... يبكي لآخر في الكبول مقيّد

وشهيد معترك توزّعه الردى ... ما بين حدّي ذابل ومهنّد

ضجّت ملائكة السماء لحالهم ... ورثى لهم من قلبه كالجلمد

أفلا تذوب قلوبكم إخواننا ... مما دهانا من ردى أو من ردي

أفلا تراعون الأذمّة بيننا ... من حرمة ومحبّة وتودد

أكذا يعيث الروم في إخوانكم ... وسيوفكم للثأر لم تتقلّد

يا حسرتي لحميّة الإسلام قد ... خمدت وكانت قبل ذا تتوقّد

أين العزائم ما لها لا تقتضي ... هل يقطع الهنديّ غير مجرّد

أبني مرين أنتم جيراننا ... وأحق من في صرخة بهم ابتدي

فالجار كان به يوصّي المصطفى ... جبريل حقا في الصحيح المسند

أبني مرين والقبائل كلّها ... في المغرب الأدنى لنا والأبعد

كتب الجهاد عليكم فتبادروا ... منه إلى الفرض الأحقّ الأوكد

وارضوا بإحدى الحسنيين وأقرضوا ... حسنا تفوزوا بالحسان الخرد

هذي الجنان تفتّحت أبوابها ... والحور قاعدة لكم بالمرصد

هل من بايع من ربّه من مشتر ... منه الحصول على النعيم السرمد

للّه في نصر الخليفة موعد ... صدق فثوروا لانتجاز الموعد

هذي الثغور بكم إليكم تشتكي ... شكوى العديم إلى الغنيّ الأوجد

ما بال شمل المسلمين مبدّد ... فيها وشمل الكفر غير مبدّد

أنتم جيوش الله ملء فضائه ... تأسون للدّين الغريب المفرد

ماذا اعتذاركم غدا لنبيّكم ... وطريق هذا العذر غير ممهّد

إن قال لم فرّطتم في أمّتي؟ ... وتركتموهم للعدوّ المعتدي؟

تاللّه لو أنّ العقوبة لم تخف ... لكفى الحياء من وجه ذاك السيّد

إخواننا صلّوا عليه وسلّموا ... وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد

واسعوا لنصرة دينه يسقيكم ... من حوضه في الحشر أعذب مورد

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بما نصّه:

لبيّك لا تخش اعتداء المعتدي إلخ

وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي إلخ

فأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الأحمر بقوله:

قل للبغاة وللعداة الحسّد إلخ

وقال:

وكم غنموا منّا حسانًا كواعبا ... وغزلانَ درٍّ في المقاصر تُقصَرُ

وكم مُقلةٍ أبلوا وكم غادةٍ سبَوا ... وكم أغيدٍ أبلوا فكيف التّصبُّرُ؟

وكم أيتموا منّا بنينًا أصاغرًا ... فأكبادُهم من حالهم تتفطّرُ

□

□

□

□

□

□

ولما كان يوم عيد الفطر وصلى السلطان صلاة العيد وانصرف من المصلى الى قصره وقعد بالمشور المبارك دخل عليه أشياخ بني مرين والعرب، فقعدوا بين يديه يأكلون الطعام، فلما فرغوا من أكلهم رفع إليهم الفقيه الأديب البارع عبد العزيز المكناسي الدار الملزوزي النجار قصيدة ذكر فيها غزوات أمير المسلمين في تلك السنة وغزوات بنيه وحفدته، وامتدح فيها قبائل بني مرين ورتبهم على منازلهم، وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد وأمر الدين، وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديد الذي على الجزيرة والدار وحلول أمير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والتهنئة بعيد الفطر والشكر له على قيامه بأمر الدين واهتباله بأمر العلم فأنشدها بين يديه بمجلسه ذلك قارئه الفقيه عبد الرحمان الفاسي الدار المعروف بالغرابلي وأمير المسلمين يصغى الى إنشادها وجميع أشياخ بني مرين والعرب يستمعونها حتى أتى على آخرها وقبل يده الكريمة فأمر للقارئ بمئتي دينار، وأمر للناظم بألف دينار وخلع له ثيابا ومركوبا وهاذه القصيدة:

بحمد الله افتتح الخطابا وأبدأ في النظام به الكتابا

لعل الله يبلغني الأماني ويفتح بالسرور علي بابا

ويرشدني الى نقل صحيح ويرزقني من القول الصوابا

هو الملك الذي خلق البرايا وصورهم وقد كانوا ترابا

إلاه واحد حي مريد عليم قادر بالجود حابا

يرا أثر النميلة حين تمشي وتقطع في الدجا الصم الصلابا

ويسمعها اذا دبت عليه وجنح الليل قد أمسا غرابا

تقدس عن صفات الخلق طرا وان يعزا له الوصف اكتسابا

يحيط بعلم ما تحوي عليه طباق السبع ان دعي استجابا

ويعلم في الأراضي السبع علما يحيط بعد حصباها حسابا

ولم لا وهو أنشأنا امتنانا وواعدنا على الحسنا المتابا

وأنشأ في السماء لنا بروجا وألبسها بزينتها ثيابا

وأجرا الشمس ثم البدر فيها وسخر بالرياح لنا سحابا

لتسقي بلدة ميتا بغيث همول بالحياة هما وصابا

وأجرا في بسيطتها عيونا مدفقة وأودية عذابا

وأرسل في الورا منهم رسولا شفيعا مصطفا يتلو الكتابا

محمد النبي المجتبا من سلالة هاشم فالأصل طابا

وقد أسرا به مولاه ليلا وجبريل له أخذ الركابا

دنا من حضرة العليا تدلا وحاز القرب منه فكان قابا

عليه صلاة رب العرش تترا مدا الأيام تورثنا الثوابا

وماسحت بماء لمزن سحب فحلا الزهر بالزهر الهضابا

هو المبعوث بشرنا ببشرا من المولا وأنذرنا العقابا

وحضرنا على قتل الأعادي تضيق بهم تلالا أو شعابا

ونبذل في جهاد الكفر نفسا ومالا قد جمعناه اكتسابا

فصدقه أبوبكر عتيق وثانيه أبو حفص أجابا

وثالثهم أبوعمرو، ووفا أبو حسن طعانا أو ضرابا

هم الخلفاء أربعة تواصوا على الاسلام صونا واحتجابا

وباقي العشرة المرضي عنهم سموا وعلا ابن عوفهم الشهابا

سعيد وابن جراح وسعد زبير، طلحة، كرموا صحابا

هم قد بايعوا المختار طوعا على أن لايضام ولا يصابا

وأن تفنا نفوسهم احتماء لدين الله بعدا واقترابا

وهم قد جاهدوا في الله حقا وسلوا في عداتهم الذبابا

عليهم رحمة الرحمان تملا بنور من قبورهم الرحابا

فمذ بانوا وبان من اقتفاهم خفا نور بدا منهم وغابا

وعاد الدين بعدهم حقيرا ومنسحقا وممتهنا مصابا

وصار بغربنا الأقصا غريبا فيا للدين يغترب اغترابا

ولم يعلم جهاد للأعادي بهاذي الأرض يحتسب احتسابا

إلى أن فتح الرحمان فيه   ليعقوب بن عبد الحق بابا

لمولانا أمير العدل ملك   أرانا في العدا العجب العجابا

فهنأه الإله السعد فيه   ونية صدقه برا أثابا

دعا لله دعوة مطمئن   لمولاه دعاء مستجابا

فلبا الله دعوته وسنا   له الحسنا وجنبه الصعابا

فجاز البحر مجتهدا مرارا   يقود إلى العدا الخيل العرابا

فألبس ملكهم ذلا فصارت   به الأملاك ترتهب ارتهابا

أبعد جواز أرض البرت فخر   تزيد به منالا واعتجابا

هو القطب الذي دارت عليه   نجوم السعد لاتخشا اضطرابا

بنوه نجومه والبدر فيهم   ولي العهد من بالفضل حابا

أبو يعقوب مولانا المرجا   لدفع الخطب ان أرسا وطابا

هو الملك الذي الذي أعطا وأغنا   وصير طعم عيش مستطابا

وأبناء الامارة ترتجيهم وأحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا

أوفي حقهم فردا فقردا كما جعلوا الجهاد لهم نصابا

وأذكر غزو هاذا العام حتى أذكر كل شخص ما أطابا

وأنشر من فخار مرين بردا كما احتزبوا لدينهم أحزابا

وأروى مدهم في الدين شعرا أدونه وأودعه الكتابا

ليبقا ذكرهم في الأرض يتلا يراه الركب زادا واحتقابا

فعزهم مكين في المعاني وعز سواهم أضحا سرابا

سأودع غزوهم في الروم نصا نظاما لا أخاف به اضطرابا

وأذكر من وقائعهم أمورا يصير بهن طعم الشرك صابا

فهل من سامع خبرا لبابا يرد علي بالصدق الجوابا

فيصغى سمعه نحوي امتنانا يقول اذا أصبحت لقد أصابا

وذالك أن مولانا أناخت عزائمه بطنجة الركابا

فجاز البحر في صفر خميسا   بخامس شهره ركب الغرابا

وحل طريفا المولا بجمع   كسا شم المعاقل والهضابا

وحل طريفا المولا بجمع   كسا شم المعاقل والهضابا

وفي غد يومه ضربت لديه   هنالك قبة تسبي القبابا

زهت حسنا وجملها سناها   لها اختاروا من الحبر الثيابا

ولم ير مثلها في الحسن لكن   قد انتخبت بسبتة انتخابا

فحل بها كأن الشمس لاحت   بطلعته ازدهاء واعتجابا

فيالك قبة يحكي سناها   سنا الفلك المحيط بها انتسابا

وخلف عامرا وأتا قريبا   من اركش ثم رام به احتلابا

ورام نكاية الأعداء فيه   فأوسعه احتراقا وانتهابا

ومنه أتا شريشا في جموع   ووافته محلته إيابا

فأوسعت الزروع بها احتصادا   وأوسعت الغروس بها احتطابا

أذاقت من شلوقة كل ربع وروض من قناطرها عذابا

مدينتها وقلعتها بخير أشاعوا في نواحيها الخرابا

وجهز للعدا منصور جيش ليترك دارهم قفرا يبابا

على اشبيلية أجرا خيولا فأوسع من بساحتها انتهابا

سبا منهم وغادر ألف علج تطارد عنهم الطير الذئابا

وآب مظفرا وأبو علي أخوه أتا وقد حمدوا الايابا

وجهز جيشه عمرو ووافا ذرا قرمونة يحكي العقابا

ولم يترك بها أحدا سوى من بها ينكب في الأرض انكبابا

أتا بغنائم ملأت عديدا بسيط الأرض بل غطت شعابا

وجيش أبي معرف المعلا على اشبيلية حط القبابا

لمولد سيد الثقلين يشهد له فيما سباه وما أصابا

أتا بغنيمة فيها سبايا وأوصل من مراكبهم لبابا

فذاك اليوم سار أبو علي الى برج فصيره خرابا

وغزوة مشقريط ليس تخفا فضائلها لقد حسنت مآبا

ولا أنسا البروز على شريش فأهل البرج قد ذاقوا العذابا

فذاك اليوم أعظم يوم حرب رأيناه اذا ذكروا الضرابا

ويوم وصول مولانا المرجا أبي يعقوب أشرق واستطابا

هناك بروز أهل الدين ردت محاسنه على الدهر الشبابا

ولا أنسا القناطر حين دارت بها الاسلام توسعا انتهابا

وأهل شريش لما أن تراءى ولي العهد قد فرقوا ارتعابا

هنالك خصص المولا بجيش أبا يعقوب مولانا وحابا

بأربعة من الآلاف خيلا مسومة مظفرة عرابا

وأجرا الخيل من كل النواحي على اشبيلية شرقا وغابا

فلم يترك بتلك الأرض خلقا أسارا أو سبايا أو سلابا

فتلك غنيمة ما إن سمعنا بهاذا العام أكثرها انجلابا

وبعد أتا أبو زيان وافا شريشا بالبروز وما استرابا

بهذا اليوم جهزه بألف الى قرمونة وافا الصوابا

وجاء بزرعها وانحاز عنها الى اشبيلية ولها استتابا

وقتل أهلها وسبا وولا حميدا في سرور من استطابا

ومولانا أبو يعقوب وافا شلوقة ثم خربها خرابا

الى كبتور أعمل حد عزم لو أن الهند مس به لذابا

أحاط بربعها برا وبحرا فدرها وصيرها يبابا

وخلف أرضها غبرا وأضحت حمامة حسن معناها غرابا

ولما دوخ المولا النصارا وألبسهم من الذل الثيابا

ولم يترك بأرضهم طعاما ولا عيشا هنيئا مستطابا

وأعوزه بها علف وطالت بها حركاته قصد الايابا

وقد ظهرت لأسطول الأعادي علامات تزيدهم ارتيابا

يؤم الى الجزيرة رام منها بجرد غزوة تدني الثوابا

الى اشبيلية ليبيد منها طغاة طالما عبدوا الصلابا

وينزلها يقيم بها شتاء يهدمها ويبقيها خرابا

فلما حل ربع طريف والا الى أجفانه الغر الكتابا

فيأمر أن يجهز للأعادي أساطيله فأسرعت الجوابا

فجهزها ووافت باحتفال وبأس منه رأس الكفر شابا

هنالك سانشو وافا شريشا بليل ثم عاين ما أرابا

فوجه منه أرسال النصارا الى المولا ليسعفه الطلابا

يطالبه بعقد الصلح يعطي له ماذا أراد وما استجابا

ولم يقبل لهم قولا وآبت له الأرسال حائرة خيابا

ولم يردهم المولا سوى من حديث البحر لا يربو ارتيابا

فقرب جيشه المنصور بحرا الى أفروطة الكفر انسيابا

فلما برز الأسطول فرت جيوش الكفر في البحر انسرابا

وما ألوت على متتبعيها ولو سئلت لما ردت جوابا

فجاز الى الجزيرة في سرور بجدد غزوة تبدي العجابا

فوافته بها الأرسال تبغي بعطفته من الصلح اقترابا

فأسعفهم بها جازاه ربي على آرائه الحسنا الصوابا

ويجعل فيه للاسلام طرا مصالحها التي ترد الطلابا

وذلك من أمور قد حكاها لنا المولا وأحصاها حسابا

فبادر سانشوا في الصلح حتى تقرب من مدينته اقترابا

وجاء لغيله الأعلا وأعطا هديات لمولانا رغابا

فكان هناك بينهما أمور ينسيني السرور بها الخطابا

وأسرع سانشو للعقد حرصا وأظهر فيه للمولا ارتعابا

فتم الصلح بينهما لعذر مبين واضح والسر غابا

فهاذي جملة والشرح عندي سأوضحه بايضاح كتابا

هنيئا يا مرين لقد علوتم بني الأملاك بأسا وانتجابا

وفاخرتم بمولانا البرايا فأعطوكم قيادا وانغلابا

أبعد الفنش وابن الفنش يبقا رضاكم لا يخاف به الغيابا

فحزب مرين حزب الله يحمي حما الاسلام لا يخشا عقابا

اذا سلوا السيوف ترا الأعادي وقد حل الربا مدت رقابا

هم أشفار عين الملك تذرى عن الملك القتام أو الترابا

وهم مثل الأنامل حيث مدت يد الأمر التي تعطى الرغابا

أنظم فيهم مدحي ففيهم أناس طالما نظموا القبابا

فمن أولاد عبد الحق أبدا بمدح عرفه يحكي الرضابا

هم الأمراء ان ذكرت علاهم ترا الأقمار تنتسب انتسابا

ومنهم تجتلا شمس المعالي لدار الملك تنحط الرقابا

وهم لآساد حرب من يوازي مقامهم اذا ما الخطب نابا

وهم للجود بحر فيه تلفي نفيس الدر أو تجد السحابا

فما قدرت من كرم ففيهم أصخ تسمع لدي لهم جوابا

وفخر بني حمامة ليس يخفا كنور الشمس يرتقب ارتقابا

سموا قدرا وعز بهم حماهم فجارهم عزيز لن يصابا

فانهم القرابة حين يعزوا لمولانا وقد عزوا جنابا

وعترته السراة بنو علي لأنهم أبوا ذما وعابا

هم الفضلاء والشرفاء حقا فسل مجد العلاء والانتسابا

وهم أخوال مولانا المرجا أبي يعقوب فخرا لن يعابا

وسادة عسكر قوم أحاطوا بأوصاف العلا وسموا طلابا

شجاعتهم وجودهم استفاضا تدفق كفهم يحكي العبابا

بنو ونجاس افتخروا افتخارا بعزم علم السيف الضرابا

اذا لبسوا الحديد ترا أسودا تميد الأرض ان كانوا غضابا

ونجرة تربعين قد استقرت فزادوا في علوهم انتصابا

فمنهم ابتدى ببني وراغ وبأسهم اذا سيموا الضرابا

بنو سوخم أراهم خير قوم اذا حضروا الوغا التهب التهابا

وسائر تربعين اذا تداعوا لحرب فرت الروم ارتهابا

بنو ياباي ان ذكروا تجدهم أسودا تورث الأعدا ارتيابا

سيوفهم تقد الهام طولا وماء سخائهم يهمي انسكابا

وناس بني تنالفت استمرت مريرتهم فبلغنا الطلابا

اذا حضروا الحروب ترا عداهم بغاث الطير أبصرت العقابا

بنو وطاس فازوا بالمعالي فلم يخشوا لمجدهم انتكابا

بنو ورتاج اعتزوا فباها فخارهم عداتهم احتجابا

بنو الخير أناس من تساما ورام بهم حلول الضيم خابا

بنو وارثين ارتفعوا فعالوا بعزهم وبأسهم الرقابا

وسائرهم متى ذكروا توالت شجاعتهم اذا البطل استرابا

بنو فودود والحشم استمروا على نصح لمولانا فحابا

وقربهم وصيرهم لديه من الرهط الذي نال اقترابا

وأذكر خدمة العرب التي قد أعزتهم لدى المولا جنابا

فحازوا عنده أعلا مكان مكين لن يرام ولن يصابا

اذا نصح الخديم ينل مناه ويحرز من ذوي العليا احتسابا

فأنتم أيها العرب انتصرتم لعزكم فألزمكم منابا

أليس لحمير لكم انتساب كذاك مرين ان رفعوا انتسابا

وأنتم أخوة نسبا وصهرا فما حدتم عن الفخر اجتنابا

وجد جميعكم سبأ وقيس من الأعلام في العرب انتصابا

ولم لا والرضا عنكم توالى من المولى به ملأ القبابا

فسفيان سموا قدرا ففيهم سراة العز يولون الرغابا

لهم أيام صدق ليس تخفى لها حسن تعالى أن يعابا

بنو جرمون أنجمهم وفيهم هلال بدرهم يجلو السحابا

سيوف العاصم اشتهرت وصارت بأرض الروم تغمدها الرقابا

سما عيادهم قدرا ووافى بأخوته لمولانا اعتصابا

لقد نصحوا ويشهد في علاهم بما فعلوا الذي كتب الكتابا

وللخلط السيوف سيوف حتف تصير هام أعداهم ترابا

هبيرة من لمجدهم افتخار أخطب هاج أو حرب أرابا

مقدمهم تقدم في المعالي بهم ومهلهل أحصا الذبابا

جماعة جابر قوم كرام كسوا من صدق نصحهم ثيابا

فجروا منه يوم الحرب ذيلا على الأعداء تنسحب انسحابا

بيوسف ابن قيطون تساموا فعزوا جانبا وسموا جنابا

وقل للأبنجي دامت علاه فكم ساقاتكم تدنوا اقترابا

سيوفكم تدير على الأعادي كؤوس ردا سقوا منها شرابا

فإبن عجاج الأرضا علي فخار يورث الشرك اكتسابا

لئن أخرتم في الأرض يشهد لكم في سبقكم من حل زابا

فهذا سعد مولانا المرجا ونيته التي تدني الطلابا

فقد حل الجزيرة والأماني تساعده وقصد الشرك خابا

أقام بها وألقا الرحل منها لبلدته الجديدة حين آبا

مكان القرية المشهور منها على ما أودع الله الكتابا

وقد ذكروا الجدار بها وفيها مكان الصخرة انتصب انتصابا

فصدق قولهم عنها فلوس بها وجدت مصورة عجابا

لها ألف من الأعوام زادت من المئين أربعة حسابا

وقد دثرت رسوم الربع منها   فأحياها وقد كانت خرابا

وجددها وشاد السور منها   وأنشأ في جوانبها القبابا

بطالع سعده في خير دار   مؤسسة بها تولى الرغابا

قواعدها على السعد استقرت   تقابل من جبال الفتح بابا

ومشورها البهيج يروق حسنا   تحلى من حلى البحر الحبابا

تطالعه نجوم السعد منها   قريبا تورث الشرك التبابا

ومسجدها المبارك قد تلألأ   سنا أنواره يحكي الشهابا

ومنبره الرفيع يقوم فيه   أمامكم فيختطب اختطابا

ويدعوا الله مبتهلا عساه   يزيدكم السعادة والثوابا

ويجعل من تمادي الخير فيها   بشائر والفتوحات العجابا

بنى الدار السعيدة للأماني   بنو العزفي وشادوها قبابا

بعزمة مخلص بر صفي   محب للوفاء قد استتابا

أناس دأبهم نشر المعالي فهاهم قد كسوا منها ثيابا

هم خدموا لمولانا فوفوا لما دحكم ببعيته الثوابا

وقد ورخت دولتكم وصارت حلا يحدو بها الحادي الركابا

وكل منظم شعرا سيفنا ويبقا فيكم مدحي كتابا

أمير المسلمين بقيت تعلو سعودكم التي ترضى اصطحابا

وأبقاكم إلاه العرش عزا تنال بكم أمانيها الرغابا

فهاذا العام عام الفتح يبدى بتاريخ السعود لك الحسابا

وهاذا العيد عيد الفطر وافت به السراء كالقطر انسكابا

فعمرك الالاه سنين عدا تبلغنا الاعاذي والطلابا

فانك قد رفعت العلم قدرا وصنت ذويه كي تحوي ثوابا

وبالصلحاء قد زدت اعتناء وبرا واعتلاء واقترابا

وزدتهم احتفالا وارتقاء به للخلد تنقلب انقلابا

فدم فسعود ملكك في ازدياد وجمع عداتك انتكبوا انتكابا

سلام الله متصلا يوافي مقامكم كعرف المسك طابا

نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك

الحمد لله مغيث الدين بالملك المنصور من مرين

حمدا كثيرا طيبا مباركا فانه بفضله تداركا

سبحانه يعلم ما تخفي الصدور وما يكون في الغيوب من أمور

قد دبر الزمان والوجودا وقدر الشقي والسعيدا

في الخلق لايسأل عما يفعل لكننا عن كل شيء نسأل

وكل شيء عنده بمقدار جرت بذاك في الكتاب الأقدار

وماله صاحبة أو ولد (ولم يكن له كفؤا أحد)

نحمده حمدا كثيرا دائما فإنه ما زال ربا راحما

ثم الصلاة والسلام الطيب على نبي أطلعته يثرب

لولاه كان الناس في الضلال عميا عن الحلال والحرام

قد بين الحلال والحراما وأوضح الصلاة والصياما

والحج والزكاة والجهادا ولم يدع غيا ولا فسادا

صلى عليه ربنا وسلما فهو الذي أرشدنا وعلما

وآله الكرام خير آل فالناس ترب وهم لآلي

ثم الرضا عن سائر الصحابة أولى التقا والدين والانابة

فإنهم للناس كالنجوم من ضل عنهم خص بالرجوم

والتابعين لهم بإحسان فهم بدور للعلا والايمان

وعن أئمة الهدى من بعدهم ومن يجد في الورى كجدهم

وبعد فاسمع أيها الأمير أرجوزة ما ان لها نظير

سميتها من حسنها (نظم السلوك في الأنبيا والخلفاء والملوك)

واذكر الأمر على الترتيب مختصرا بأحسن التقريب

من عهد آدم الى زماننا أختمها بالغر من أملاكنا

حتى تكون هذه الأرجوزة تكتسب الفخر بها ملزوزة

فاسمع رعاك الله قولي وافهم واعلم من الأشياء مالم تعلم

أول كل الانبياء آدم صلوا عليه كلكم وسلموا

به أراد الله ان نكونا ونلزم الحراك والسكونا

من بعد ما كان أبونا آدم في جنة الخلد بجوا ينعم

أهبطه الله من الجنان بزلة كانت من الشيطان

ولم يزل يبكي على خطيئته رجاء أن يعيده لجنته

(ثم اجتباه ربه فتابا عليه) بعد ما له أنابا

علمه الله جميع الأسما ولم يدع من العلوم علما

ما فارق الأرض أبونا آدم حتى بقي في الأرض منه عالم

أوصى ابنه شيش بما أوصاه فقام بالأمر وما عصاه

وكل من قد مات يوصي من بقي أن كن على الحق المبين واتق

فخلفت من بعدهم خلوف وفارقت سبل الهدى ألوف

وكثر القتل لديهم والهرج وما على العصاة فيهم من حرج

وخالفوا آدم ثم شيثا وساووا الطيب والخبيثا

حتى غدا دينهم دريسا فبعث الله لهم إدريسا

أول من خاط وخط بالقلم وفن كل عاكف على صنم

وهو الذي قد شرع الجهادا واتبع الطاغوت حتى بادا

رفعه الله السماء فهو بها من جملة الأحياء

ألهمه الله لخير حيلة عادت بها جنته مقيلة

فعبدت من بعده الأصنام وارتكبت بفقده الآثام

وإن يكد دين الهدى يلوح حتى أتى مفني الجميع نوح

أقام يدعو الناس ألف عام تنقص خمسين على التمام

فلم يجب والدهم ولا ولد ولم ينب إلى الهدى منهم أحد

ثم دعا دعوته المشهورة فلم تدع من الجميع صورة

فعمهم بمائه الطوفان كأنهم من قبله ما كانوا

وكل نفس بالردا رهينه الا الذين ركبوا السفينه

وكان فيها منهم سبعونا لم يلدوا البنات والبنينا

ولم يخلف أحد منهم بشر أمر به رب العباد قد أمر

ولم يلد خلق سوى أبناء نوح إليهم يغدو الجميع ويروح

لأن نوحا آدم الصغير من لم يكن منه فذاك غير

سام وحام بعده ويافث منهم جميع من ترى يا حارث

فيافث للروم والصقالبه والترك والأشبان منه قاطبه

ومنه ياجوج وماجوج معا وغيرهم من أثار البدعا

وحام فاعلمه أبو السودان لاشك فيه فاستمع تبياني

دعا عليه في المقام نوح فاسود منه لونه الصريح

قل للذي قد يدعي علم النسب اسمع فسام وحده أبو العرب

والأنبياء كلهم من نسله الا الذين قدموا من قبله

الا نبي الله عيسى وحده فذاك روح الله عظم عبده

كل نبي فلسام يرجع فاسمع هداك الله يامن يسمع

وكل من أرسل أو لم يرسل ما منهم خلق له بمعزل

قدم من منهم له التقديم هود وصالح وابراهيم

ولوط فافهم ثم اسماعيل وبعده اسحاق ياجهول

يعقوب والأسباط وابن يعقوب يوسف ثم بعد ذاك أيوب

ثم شعيب بعده والخضر وأمره وغيره مختصر

لاتنس موسى ثم هارون معا وكن لأرباب الهدا متبعا

ويوشع بن نون ثم حزقيل الياس واليسع ثم شمويل

لاتنس داود ولا سليمان واشعيا وارميا مدا الزمان

ودانيال والعزيز ويونسا   وزكريا ثم يحي قدسا

عليهم خير صلاة وسلام   فانهم وغيرهم من نسل سام

ثم النبي المصطفى محمد   خير النبيئين الرضا الممجد

من ختم الله به الرساله   وأذهب الله به الضلاله

أرسله الله إلينا رحمه   فنحن في الأمم خير أمه

فمعجزات أحمد لاتحصر   فبعض بعض البعض منها أذكر

في محكم التوراة والانجيل   أوصافه محكمة التفصيل

وأخبرت ببعثه الكهان   والجن والأحبار والرهبان

أرسله الله الى الآفاق   متمما مكارم الأخلاق

للانس ثم الجن قد أرسله   رب على كل الورا فضله

وكم رأت آمنة في حملها   من بركات خصصت بفضلها

خرت على أوجهها الأصنام   وارتج غيوان له أحكام

لاقاه عن رب الورا جبريل فأنزل القرآن والتفصيل

ولم يزل يدعو قريشا قومه الى الرشاد ليله ويومه

فكذبوه وعصره الا خديجة حازت بذاك فضلا

وبعدها علي ثم زيد وبعده الصديق فهو الأيد

وبعدهم أسلم من قد أسلما قد يدرك الأخير من تقدما

ولم يزل يشتهر الاسلام بيثرب وتختفي الأصنام

من بعد ما لاقا النبي المصطفى أمرا عظيما في المقام والصفا

.... المرة بعد المرة حتى مضا ... للهجرة

فنصرته بالضبا الانصار ولم يكن منهم له اقتصار

اووه حين جاءهم ونصروا فمن عليهم في الورا يفتخر؟

هم الذين دوخوا قريشا وغيرهم ولم يبقوا جيشا

ثم غزا بهم جميع المشركين حتى غزا ثمانيا وعشرين

في تسعة قد باشر القتالا بنفسه ولقي الأهوالا

في النصف من شوال في يوم أحد لاقا جراحا ذاق منهن السهد

فأظهر الاسلام شمسا فاشتهر وأخذ الكفر وذل من كفر

والناس يأتون له أفواجا واتخذوا دين الهدا منهاجا

حج النبي حجة الوداع وهي دليل الموت والوداع

أقام للناس بها المناسكا وبين الطريق والمسالكا

وكل شيء للورا قد أوضحه ولم يدع مفسدة أو مصلحه

فمات خير العالمين أحمد وكل أمر كان منه يحمد

رزية أعظم بها رزيه لم تك في خلق من البريه

لو كان حي في الورا يخلد لكان خير العالمين احمد

يا رب واحشرنا جميعا معه في جنة الخلد نرا موضعه

صلى عليه الله في كتابه وآله الكرام مع أصحابه

فقام بالخلافة الصديق ذاك الذي قد زانه التصديق

أول ما بدأت له من نجده قتاله في الحين أهل الرده

وقال أرديهم على الزكاة لو منعوا العقال في فلاة

حتى أعاد الدين كيف كانا ودان للرحمان من قد خانا

فجند الجنود نحو الشام وكتب الكتب الى الاسلام

فجاءت الأبطال تعدو كالمطر من حمير وغيرها ومن مضر

فأخرجوا قيصر عن قصوره وملكوا ما كان في سريره

وخلدت همومهم بخالد أكرم به من فارس وماجد

ما زال في أيامه الصديق وأمره يصحبه التوفيق

أيامه قد زانت الخلافه وما رأت لحسنها خلافه

ثم انقضت أيامه المباركه ولاعدو في البلاد شاركه

أيامه كانت ضياء للدهور عامين كانت وثلاثة شهور

لاتنس تسعة من الأيام حتى يكون العد في التمام

لقد نصرت الدين والخلافة وزنتها يا ابن أبي قحافة

فالله يجزيك عن الاسلام وأهله خيرا مدا الأيام

لما قضى أيام الصديق بويع بعد عمر الفاروق

ثم اقتدا بابن أبي قحافة في نصرة الاسلام والخلافة

فكانت الفتوح في أيام تترا ولم تنقص مدا أعوام

وذل ملك قيصر وكسرى وباد قتلا جيشهم وأسرا

ودان من قد كان الآفاق ومصر والشام مع العراق

أقام في أيام الفاروق في عزة كما بقى الصديق

والعدل والحق المبين ظاهر والجور والباطل واه دائر

حتى أراد الله أن يلقى الردا ويطفئ الاظلام مصباح الهدا

جاء أبو لؤلؤة إليه يشكو أموره ألقيت عليه

قال له الفاروق فاصنع لي رحا قال نعم أصنعها والترحا

فلم يزل يغتاله فيروز ويرتجي وقتا به يفوز

فضرب العلج أبا حفص عمر ثلاث ضربات بها ألقا القدر

فمات من تلك أمير المؤمنين ذو العدل والتأييد والدين المتين

أيامه دامت على الاسلام عشرة أعوام ونصف عام

وخمس أيام فلا تنس العدد فكل شيء مبتدأ له أمد

يا رب فاحشرنا مع الفاروق وألهم الجميع للتوفيق

لما انقضت بالقتل أيام عمر وقتله أدها علينا وأمر

بويع لما مات ذو النورين عثمان الشهيد في الدارين

نور الهدا وجامع القرآن وعمدة الاسلام والايمان

صهر رسول الله نعم الصهر بمثله ليس يجود الدهر

في عصره قد فتحت أفريقيه ثم خراسان الى أرمينيه

ثم سجستان ونيسابور ويزدجرد قتله مشهور

ولم تزل في عصره الفتوح تغدو لما قد شاء أو تروح

عشرة أعوام وعامين بقى لو أنه من الحصار قد وقى

فمات عثمان بوسط داره من بعد ادمان على حصاره

سيف نيار بن عياض الأسلمي منه ابن عفان الرضا لم يسلم

لا كنت يا نيار يا لعين لك مكان في لظا مكين

أردت أن أذكر ما كان السبب لكنه الامساك عندي قد وجب

ان كنت ذا عقل وذا انابه فاترك حروب سائر الصحابه

أنت شهيد الدار يا عثمان ضجيعك الايمان والقرآن

طوبى لمن كنت له مجاورا في الخلد يبقا واردا وصادرا

ثم تولى بعده علي ليث الليوث المرتضا الولي

هو ابن عم المصطفى المختار سم العدا وقامع الكفار

كم شدة جلا عن الرسول يوم الوغا بسيفه المسلول

لازمه قبل جميع الناس لم يمض عنه في الرخا والباس

كم بطل أفنا بذي الفقار من قبل أن ينصر بالأنصار

أفعاله في الغزو ليس تحصا لاتبلغ العقول منها الأقصا

أيامه كانت حروبا كلها أكثرها في الدهر لا أقلها

لم يسترح من الحروب ساعه ولم توف حقه جماعه

كم شدة لاقا علي فاحتمل أقلها في دهره يوم الجمل

أما قتال كان في صفين اذ غلبت الشك على اليقين

لكنه القاتل والقتيل في جنة الخلد له مقيل

أليس هذا من عجيب الدهر علي يلقا الحرب بابن صخر

لكنه هذا مراد الحق وحكمة أحكمها في الخلق

مازال في أيامه أبو الحسن تلقاه ناس في أناس بالفتن

حتى أراد الله أن يلقا الردا   ويذهب الحق المبين والهدا

فقام يدعو في صلاة الصبح   ألا اسرعوا الى الهدا والنجح

فجاءه ابن ملجم بسيفه   مصمما على التزام حتفه

فخضب اللمة بالحسام   ومات ركن الدين والاسلام

لقد قتلت الليث يا بن ملجم   أحزنت يا قدار كل مسلم

هلا رعيت دينه وعلمه   وفضله ونسله وحلمه

لهفي على موت الامام المرتضا   ولي الزمان اذ قضا ثم انقضا

لاخير في الدنيا وما عليها   بعد علي ذي العلا زعيمها؟

عاش علي في العلاء الأظهر   أربع أعوام وسبع أشهر

لما قضا أيامه علي   بويع بعد الحسن الرضي

هو الذي أخمد كل الفتن   وأذهبت به جميع المحن

قد أنقذ الله على يديه   خلقا كثيرا ركنوا إليه

لما رأى أن فناء الخلق على يديه مغضب للحق

فقال تركي أمرهم لي أحسن مثلي بهذا الأمر ليس يفتن

فسلم الأمر الى معاويه والله لا تخفا عليه خافيه

دامت لنا أيامه على التمام ستة أشهر وخمس أيام

بكونها تمت ثلاثون سنه وانقضت الخلافه المعينه

ورجعت في الدهر ملكا أو ملوك ان تلقهم فاحذرهم أن يفتنوك

قد صدق النبي فيما قاله وأظهر الدهر لنا أحواله

فعاش بعد خلعه سنينا فمات مسموم الحشا مهينا

ما هكذا أوصى النبي المصطفى عليهم فالدين فاعلم قد عفا

لو كان قد أوصا اليهود موسى بالنسل أو أوصى النصارا عيسى

لعظموا جلاله تعظيما وقدموا ما شاءه تقديما

ونحن خالفنا النبي فيهم من بعد ما أوصا بما نوليهم

من لم يمت بالسم مات قتلا حتى أبدنا للنبي نسلا

يا ربنا لا تأخذ البريا بذنبهم ولتأخذ الأبيا

أول أملاك الورا معاويه أكرم به من ثائر وداهيه

هو الذي أعلا بني أميه فملكوا الأمر على البريه

ولم يزل يفعل في دنياه هو وعمرو ما حما علياه

حتى أزال الدهر عنه سعده والملك لله العلي وحده

حاز العلاء تسع عشرة سنه بعد علي وشهورا بينه

فسلم الأمر الى يزيد ولم يكن في الأمر بالرشيد

في عصره بأمره مات الحسين وصار منه أثرا بعد عين

وعن أبيه قد روى أن الحسن قد سمه في السر، ما هذا حسن

ماذا يقول للنبي يزيد ان كان منه العتب والتعديد

من كان خير العالمين يخصمه من ذا الذي يعينه أو يعصمه؟

ولم يزل في دهره يزيد وبعده عن ربه يزيد

أيامه يا ليتها لم تبصر ثلاث أعوام وتسع أشهر

ثم انقضت يا ويله أيامه وبقيت معدودة آثامه

يا ويح من تغره دنياه حتى يجوز الحد في علياه

ثم تولى نجله معاويه وهو الذي قد عاجلته القاضيه

لم يبق غير أربعين يوما ولم يدع له الزمان رسما

فانقرضت دولة آل حرب من دون ما طعن ودون ضرب

بفعلهم في أهل بيت المصطفى وقتلهم أهل المقام والوصفا

وسبيهم في يوم كربلاء وذاك في الدنيا من البلاء

فرجع الملك لآل العاص وذاك فانهم أول القصاص

بويع في مكة عبد الله من بعده والملك باد واه

وبيعة الكوفة والعراق جاءت والحجاز في اتفاق

ثم كسا مكة اذ بناها ثم نفا مروان عن حماها

وكل من يأتي الى الحجاز يؤخذ بالبيعة بانتهاز

نغص في أيامه يزيدا ونجله وزادهم تشريدا

وبعدهم مروان نجل الحكم لكنه من نجله لم يسلم

تسعة أعوام بقي إماما وملكه في مكة استقاما

نغص عبد الملك منها سبعه ونغص الماضين باقي التسعه

كان أتاه مسلم بن عقبه بالأمر من يزيد يبغي حربه

فدخلت مدينة النبي وعاث فيها عسكر المري

فسار عنها وأراد مكه فرد عنها وأصاب ملكه

فجاء مكة الحصين بن نمير من بعده يروم حصر ابن الزبير

ثم بدا في مكة الاضرار فحرقت وانهدم الجدار

ثم أتى موت اليزيد للحصين فمد ليت موته قبل الحسين

ثم أتاه عسكر الحجاج في عصر عبد الملك بانزعاج

فقتل الحجاج عبد الله وكل مبتدأ له تناها

بويع مروان بأرض الجابيه كإبن الزبير اذا قضا معاويه

في مصر والشام استقام أمره وابن الزبير في الحجاز ذكره

عشرة أشهر تولى مروان ثم أتاه دهره بالعدوان

فقتلته قيل أم خالد زوجته من أجل قول فاسد

نادى ابنها من غيره وسبه وقال فيما قال يا ابن الرطبه

فجعلت على أنفه مخده حتى أمال للتراب خده

ثم تولى الملك عبد الملك وكان في دنياه أعلا ملك

وملكه مهده الحجاج بحر ظلوم كله أمواج

هو الذي عاجل قتل ابن الزبير ما مثله إلا سعيد بن جبير

وافتتح المغرب موسى بن نصير في عصره من بعد قتل ابن الزبير

وملك المشرق ثم المغربا   ونال في دنياه ملكا مغربا

ولم يزل في ملكه ابن مروان   في عزة ورفعة وسلطان

حتى أتاه الأجل المحتوم   وأي ملك في الورا يدوم؟

أيامه احدى وعشرون سنه   ونصف شهر للعلا ممكنه

ثم تولى ملكه الوليد   وكان في الفتح له تأييد

فافتتح المغرب في أيامه   ذوو العلا والمجد من خدامه

وافتتحت أندلس في عصره   وكل شيء............

وسيق للوليد منها المائده   أعظم بها من منة وفائده

وافتتحت أيضا بلاد السند   وقام بالطاعة من في الهند

وكان في أيامه الطاعون   وليس في العصر له مأمون

مئة ألف كل يوم تقبر   أما الزلازل فليس تحصر

ومات في أيامه الحجاج   وزال عنها الظلم والخراج

ولم يزل في ملكه الوليد ودهره يعطيه مايريد

حتى أتاه الأجل المقدر وكل عيش زائل مكدر

سبعة أعوام وثلثا عام بها توالى الفتح للإسلام

ثم سليمان أخوه بويعا ولم يزل لفعله متبعا

كان فصيحا شرها طويلا أبيض نكاحا فتى جميلا

مئة رطل قوته في اليوم لم تنتقص في فطره والصوم

وجه للغزو أخاه مسلمه فنال قسطنطينة ما أحزمه

وافتتحت مدينة الصقالبه ويسر الدهر بها مطالبه

فحاز عامين العلا وثلثين معظما مرفعا في الحلتين

مات بذات الجنب في شهر صفر والدهر يأتي كل يوم بالعبر

..................ع جنده بأن يكون عمر من بعده

ثم تولى الملك ثاني العمرين وخير من ملك ملك الخافقين

أيامه مشهورة بالعدل قد خصصت بالأمن ثم الفضل

هو الأشج من بني مروان أدمانه لم تلف في الأزمان

قد آثر الدين على دنياه مراقبا الله في علياه

في عصره قد حملت زوج علي بنجله السفاح منشي الدول

في الدهر لم يترك له نظيرا يا ليت لو دام لنا يسيرا

قد ملأ الأرض هدا وعدلا وجل في أفق الهدا مجلا

هو بني الجحفة وارتضاها وملطية قد اشتراها

مئة ألف من أسارى الروم بهم فداها ليس بالمذموم

خمسة أشهر ونصف شهر وسنتين قد بقي في الأمر

مات أبو حفص لدا خناصره وفعله مدخر للآخره

ثم يزيد نجل عبد الملك من بعده وليته لم يملك

سلامة وبعدها حبابه قد أذكتا في قلبه صبابه

ما زال مشغوفا بهن والطرب وماله في الملك يوما من أرب

ماتت حبابة وواری لحدها فمات وجدا وغراما بعدها

وقد حكي بأنه أخرجها من قبرها وبعد ذا أدرجها

وقد حكوا عنه أمورا تنكر تركتها فإنها لا تذكر

كل امرئ يجزا بما قد فعلا فكن معافا في الجزا أو مبتلا

حاز العلا واللهو أربع سنين وبعدها شهرا فويح المفترين

ثم تولى بعده هشام وكان للملك به ابتسام

كان له تيقظ في أمره وهمة عالية كقدره

له ستور وكسا لم تعهد لمن مضا من قبله في مشهد

في وقته خرج زيد بن علي يبغي العلا فذاق حد الفيصل

وظهرت دعاة آل هاشم وكثر الدعاة في المواسم

قام أبو سلمة الخلال بعد بكير وتمادا الحال

وبعد هذا كله هشام ما أثرت في ملكه الأيام

نال العلا تسعة عشرة سنه يحوطها ميسرة وميمنه

وسبع أشهر وعشر أيام أغفلتها فسقتها على التمام

مات أبو الوليد في الرصافه لم يشتغل باللهو والسلافه

ثم الوليد بن يزيد بعده لم تطل الأيام فيها سعده

مثل أبيه اتبع المجونا   وآثر اللذة والسكونا

جاء له ابن عمه يزيد نجل الوليد الناقص الجديد

فجدل الوليد بالحسام مع ولي عهده الكرام

عاما وشهرين بقى في لهوه وثلثي شهر جرا في زهوه

فبايعوا الى يزيد بن الوليد في طالع مذمم غير سعيد

هو يزيد الناقص المشهور فانه في جوده تقصير

قد نقص الأجناد من أموالهم فلقب الناقص في أقوالهم

خمسة أشهر وأياما بقى كأنه في عصره لم يخلق

أخرجه الجعدي ثم صلبه لما أزال للوليد المرتبه

ثم تولى الأمر ابراهيم وكان في الملك له تسليم

هو أخو الناقص وهو المخلوع من الأماني والأمان ممنوع

قد سلم الأمر الى مروان وحاد عن ملك وعن سلطان

أقام شهرين وعشر أيام وبعدها دهرا أميت بالحسام

فبايع الناس لمروان الحمار وملكهم بموته لاقا الدمار

مازال مشغولا بثارات الوليد مطالبا بدمه أهل يزيد

لما أراد الله يدني حينهم اشتعلت نار الحروب بينهم

وكان ذاك سببا للدوله حتى تزول عنهم بالجمله

قام أبو مسلم في خرسان لما تمادى في الحروب مروان

وقدم السفاح نحو الكوفه في عترة من أهله مألوفه

فبويع السفاح في ربيع وصار بالجنود والجموع

فأرسل السفاح قصدا عمه لحرب مروان فشد عزمه

فالتقيا بالزاب زاب الموصل وكثر الضرب بحد الفيصل

ففر مروان وخلا جنده واستلب الدهر الخؤون سعده

فمات في مصر على بوصير بسيف صالح أخي المنصور

خمسة أعوام وعشر أشهر أقام في أيامه لم يقصر

بقتله قد ذهب أيامهم بأسرها وانتكست أعلامهم

ثم انقضا ملك بني أميه كأنه ما كان في البريه

كأنهم وملكهم أحلام وهكذا ما زالت الأيام

أيامهم ان شئتها مبينه مدتها احدى وتسعون سنه

وسبع أشهر وخمس أيام وأي ملك في الزمان قد دام؟

قد زال عنهم ملكهم في المشرق الا الذي في عدوة البحر بقى

فانهم قد ملكوا أندلسا   وملكهم في أرضها قد أسسا

أسسه الداخل عبد الرحمان   من بعد ما قد زال ملك مروان

عشرة أملاك لهم قد ملكوا   وسلكوا في المجد طرقا تسلك

ولم يزالوا في العلاء ظاهرين   الى اقتراب دولة المرابطين

وفارقتهم جملة السعود   بالقائمين من بني حمود

أول من حاز العلا السفاح   وكان بالثار له ارتياح

به سما ملك بني العباس   اولى المعالي والندا والباس

هو الذي أبادا بني أميه   وذوقوا بسيفه المنيه

فمهد الملك أبو العباس   ولم يكن في ثأره من باس

أفنا كثيرا من بني أميه   ولم ينالوا معه أمنيه

وأخرج الموتى من القبور   فأحرقوا بمشهد الجمهور

أما هشام فهو قد أحرقه   من بعد ضرب مؤلم مزقه

وكل ثار كان فيهم ناله   واستحسن الدهر له أفعاله

حتى انقضت أيامه المشهوره   وهي بتاريخ العلا مذكوره

فجاءه سيف الحمام المنتضا   ولم ينل منه عدو ما ارتضا

أربع أعوام وتسع أشهر   نال العلا فليته لم يقبر

لما قضا أيامه المذكور   قام أبو جعفر المنصور

وكان في نهاية من حزمه   وبأسه وبذله وعزمه

كان كثير الحج في أيامه   مراقبا الله في أحكامه

والمسجد الحرام قد وسعه   ومسجد الخيف بناه معه

في عصره مات أبو حنيفه   وجعفر ذو اللحية الشريفه

وقام عبد الله عم المنصور   ورام أخذ الملك منه والظهور

هو الذي هزم مروان الحمار   فعاد مهزوما ورام الاستتار

فبعث المنصور بالأمان   إليه ثم جاء ذا اذعان

أسكنه المنصور دارا دبرت أساسها ملح له قد يسرت

فأطلق الماء على الأساس فانهدمت فاعجب لكيد الناس

وقام بعد ذا حفيد لحسن فمات مع أخيه بعد المحن

كذا أبا مسلم أيضا قتلا اذ شك في قول له قد نقلا

ولم يزل في ملكه مثل أخيه ودهره ينيله ما يشتهيه

عشرين عاما ثم عامين بقى مؤيدا في الغرب ثم المشرق

فمات وهو محرم بالحج ونال في الدارين مايرجي

لما أتاه الأجل المقتضي قام ابنه محمد المهدي

زاد على أبيه في الخصال ورد كل ما حوا من مال

وأطلق الناس من السجون وعمهم بالأمن والسكون

في عصره غزا ابنه هارون وكان صلح بينهم مأمون

ولم تزل سيرته محموده حتى انقضت أيامه المعدوده

عشرة أعوام بقى وشهرا ونصف شهر قد تولا الأمرا

لما غدا ملقا على الأعواد قام ابنه في الحين موسى الهادي

كان شجاعا بطلا أديبا صعب المرام فاضلا نجيبا

عاما وشهرا ثم نصف شهر غدا مديرا للعلا والأمر

لما أتته في الحما المنون قام أخوه بعده هارون

فمهد العلياء هارون الرشيد ذو العدل والتأييد والرأي السديد

أيامه في حسنها لاتنكر زينها الفضل الرضا وجعفر

اذا أراد الله للأمير خيرا يكون النصح في الوزير

ان العلا عمدتها الوزاره بها يتم الرأي والاداره

لا تأمنن محبة الأمير ان كان بعض الغش في الوزير

وليحذر الوزير شر الآمر ان خالف الأمور في الأوامر

من كان ذا حرص على الخلاص يكن شديد النصح والاخلاص

في أمر هارون الرضا وجعفر لكل خلق اسوة للمبصر

في عصره قد فتحت هرقلة وحصن طرسوس بناه كله

كان كثير الغزو في زمانه ولم يفته الحج في أوانه

بجزمه قد قاتل البرامكة ورجع الباقون كالصعالكة

ومات أيضا مالك بن أنس في عصره قدس خير قدس

عشرين عاما وثلاثة سنين أقام والأيام تسعا أربعين

ثم أتاه ما أتا جدوده من الردا فيسروا لحوده

لما غدا في قبره هارون قام ابنه محمد الأمين

فلم يزل في دهره الأمين وهو به كأنه هارون

كان الرشيد قدم الأمينا وبعده قد أخر المأمونا

وعلق الكتاب وسط الكعبة بأنه من بعده في الرتبة

وابن الربيع الفضل يغزي كل حين وينصح المأمون طورا والأمين

حتى أثار فتنة لاتحمد بينهما , وأي حي يخلد؟

فقتل المأمون للأمين وصار في الملك بلا قرين

تعسا لملك فرق الاخوانا وشتت الاباء والولدانا

كان الرشيد فرأى العواقبا والملك لايبقي أخا وصاحبا

لما أميت بالظبا الأمين قام أخوه بعده المأمون

وكان ذا عقل وذا تدبير في ملكه قد جل عن تقصير

يروون عنه السحر في التوقيع وحكمة متقنة التشجيع

دس على الفضل بن سهل فقتل وأظهر الحزن عليه اذ ختل

كذا الرضا على أيضا سما وأظهر الوجد لهم والغما

وابن الربيع الفضل ولى هاربا واتخذ الخوف الشديد صاحبا

وعمه القائم ابراهيم في عفوه عنه له تعظيم

واكتمل الملك له ببوران لأنها قد هربت عن رضوان

والشافعي مات أيامه والدهر لايعدل في أحكامه

فبقي المامون في دنياه مؤيدا وحافظا علياه

عاش ولم يأسف على أخيه والملك لايرحم مدعيه

فمات في الغزو بغير قتل وحاز ماقد حازه من فضل

عشرين عاما ثم خمس أشهر نال العلا وسعده لم يقصر

فقام لما صح موت المامون محمد أخوه نجل هارون

هو أبو اسحاق يكنا المعتصم مؤيد في الغزو نعم المنتقم

هو الذي يدعونه المتمنا ليث الزمان ملكه قد أمنا

كم غزوة غزا بأرض الروم محتسبا للواحد القيوم

كان شجاعا في الورا ذا ختل يحمل فيما قيل ألف رطل

ب (سر من رأى) لقى الحماما من بعد ما نال العلا أعواما

حاز العلا ثمانيا من السنين وأشهرا كمثلها خذها يقين

ثم احتوى الواثق بالله ابنه ملك أبيه فأزيل حزنه

ليس له عيب يعيب السلطان غير امتحان الناس في خلق القرآن

ب (سر من را) مات أيضا كأبيه وكان كالمأمون فيما يدعيه

تسعة أشهر وخمس أعوام نال العلا فيها وست أيام

لما قضا الواثق قام جعفر وهو أخوه الماجد المؤمر

أيامه قد أظهرت أهل الأدب ورفعت أهل المعالي والحسب

ما زال في أيامه متكلا على ظباه وأزال الجدلا

وفيه عيب جالب للزلل فانه أظهر بغضا في علي

أليس هذا أكبر العيوب كما ترى؟ وأكبر الذنوب؟

من أظهر البغضاء في علي فقد برى من ذمة النبي

ان شئت أن تعلم كم قد قتلا وكيف بالابن تلقى الأجلا

أوصى بأخذ الملك للصغير وأظهر البغضاء في الكبير

ولم يزل يرفع من يسبه وأمه ويرتضيه قبله

وهذه في الملك شر عاده يقدم الصغير للسياده

ومن يكن يفعل هذي الفعله فملكه يخرب دون مهله

أما نهته قصة الأمين اذ قدم الابن على المأمون

فلم يزل يغتاله المنتصر حتى أتاه يومه المقدر

فمات مقتولا بأمر نجله تعسا لفعل نجله وفعله

عشرة أعوام علا وأربعا وأشهرا تسعا وأياما معا

فانظر لموت جعفر وازدجر ولا تقم للملك غير الأكبر

لما أميت بالحسام جعفر قام ابنه محمد المنتصر

فعاش من بعد أبيه جعفر في ملكه المسلوب ست أشهر

أصابه فاعلم ذنوب الوالد كما أصاب الأب نحس الحاسد

ثم تولى المستعين بعده وقتله أزال عنه سعده

محمد أبوه نجل المعتصم من أخذ ما نالوه من ملك عصم

ولم ينل أبوه ملكا قبله لكنه الدهر أباح فعله

ثلاث أعوام وتسع أشهر نال العلا وذاق حد السمهري

فبويع المعتز نجل جعفر وقتله في خلعه لم يشهر

أقامه أتراكه بالصفع والضرب كي يجيبهم للخلع

ثم أجاب بعد أمر يقبح ويح الذي للملك (ليس يصلح)

ولم يزل يخلع بعض بعضا حتى غدا الملك الرفيع أرضا

ثلاث أعوام وسبع أشهر نال العلا ولم يفز بأكثر

ثم تولى المهتدي بن الواثق وكان بالإله خير واثق

خير بني العباس في زمانه ذو ورع لاخور في سلطانه

كاد يكون في التقى والنيه كعمر عند بني أميه

قتل بكباك فمات فيه فاعجب لملك مات في سفيه

وكان بكباك من الأتراك يا ضيعة العلياء والاملاك

لم يكمل الملك عليه عاما حتى رأى في نفسه انتقاما

فقام بعد المهتدي المعتمد ولم يزل بربه يعتمد

هو أبو العباس نجل جعفر أكرم به من ملك مؤمر

ألقى الى أخيه حكم المغرب فقام بالملك فلم يضطرب

ولم يزل يبرم أمر الناس والكأس يسقاها أبو العباس

حتى احتوى طلحة ما قد ملكا لكنه بسعده قد هلكا

ورجع الملك الى المعتمد فصار في تدبيره لم يزهد

عشرين عاما وثلاثا بعدها وبعض أيام كذاك عدها

فمات مسموم الحشا المعتمد وقام نجل طلحة المعتضد

هو أبو العباس نجل طلحه أزال عن كل البلاد ترحه

قد أسقط المكس عن البلاد وذاك في الملك من السداد

من بعد ما قد كان وسط الحرمين ولم يزل أحد في الخافقين

فمات مسموما كذا قد ذكرا زمانه ان شئته مفسرا

تسع سنين تسع أشهر وبعض أيام كذاك فسر

لما قضا أيامه المعتضد والدهر في نقض العلا مجتهد

قام ابنه بالأمر وهو المكتفي وهو فتى في ملكه لم يسرف

مثل أبيه أسقط المكوسا ولم يخف من العدو بوسا

مات ببغداد كموتة أبيه وصار في الملك لحال يرتضيه

ستة أعوام وست أشهر نال العلا قبل أخيه جعفر

فقام بعده أخوه المقتدر وكان في أيامه أمر قدر

في عصره قتلت الحجاج قتلا ذريعا وكذا الحلاج

والحج في أيامه قد بطلا والحجر الأسود حيز وانجلا

وصار ثنتين وعشرين سنة عند القرامط وخلا موطنه

من بعد أن بذل فيه المقتدر خمسين ألفا فأبوا كذا ذكر

وقام في أيامه المهدي وهو زعيم بالعلا أبي

هو الذي قدما بنا المهديه لاذا الذي بأرضنا الغربيه

واضطرب المشرق مثل المغرب وغلب المهدي آل الأغلب

أرض سجلماسة منها قاما وملكه بقطرها استقاما

ورجع المغرب في انتكاس وزال عن حكم بني العباس

وقام فيه من زناتة أناس ومن سواهم أجناس

فمات في وسط الحروب المقتدر ولم يكن في ملكه بمنتصر

مدته خمس وعشرون سنه تنقص شهرا لم تكن مؤمنه

لما قضا وما لديه ناصر حاز أخوه الملك وهو القاهر

وكان لايعلم ما السياسه ونائما عن رتبة الرياسه

يدبر الأمر عليه الوزرا حتى جرا في أمره ما قد جرا

قد سلمت عيناه بعد أن خلع وعاش دهرا والخروج قد منع

ثم سعا في جامع المنصور بعد العلا والملك والظهور

أقام عاما ثم ست أشهر ونصف شهر قبل دهر مدبر

لما قضى القاهر قام الراضي نجل أخيه وهو سهم ماضي

ولم تزل أيامه تدبر وهو يرى بأنه مؤمر

وبطلت في عصره الوزاره وطمعت أتراكه الأماره

فمات ذا الراضي بالاستسقاء وما استطاب الملك بالاراء؟

ستة أعوام وعشر أشهر وعشر أيام ولم يستنصر

فبايعوا من بعده للمتقي وليته في دهره لم يخلق

هو أبو اسحاق نجل المقتدر عليه أسباب العلا لم تقتصر

في عصره كان غلاء السعر ومات جوعا كل من في القصر

وقتل ابن رائق بن حمدان بعد هروب المتقي لبغدان

واشتعلت حروب سيف الدولة مع ابن تورون وزير الدولة

فخلعوا للمتقي وسملا وبايعوا المستكفي المستقبلا

فانظر طلاب الملك ما أغلاه وطلب الخمول ما أعلاه

أربع أعوام نقص شهرا نال العلا ونال هما دهرا

وبعده قد بويع المستكفي ورأيه وملكه في ضعف

هو أبو اسحاق نجل المكتفي يا ليته أيامهم لم تعرف

قد سملت عيناه بعد الخلع مثل أبيه المكتفي كالنوع

أقام عاما في العلا وثلثا فخانه زمانه ونكثا

فقام بعد خلعه المطيع وكان للأمور لايضيع

هو أبو القاسم نجل المقتدر في ملكه وأمره لم ينتصر

قد قام في أيامه يغفور وكان للكفر به ظهور

وخرجت مصر وأرض الشام عن حكمه مع الحجاز السامي

والمغرب الأقصى الى صقليه وعنهم أيامهم موليه

وقامت الثوار في البلاد والغرب والشرق على تماد

أيامه تسع وعشرون سنه وثلث ثم ليال بينه

فقام نجل للمطيع الطائع والملك واه كنه وضائع

وقام أمر لبني حمدان وشاركوا الطائع في السلطان

خلا العلا واختار خلع نفسه فقطعوا أذنيه بعد حبسه

وعضد الدولة شاع ذكره ونجله صمصام جل قدره

أقام في علياه هذا الطائع قد كثرت في ملكه المطامع

فقام بعد الخلع هذا القادر وملكه في الملك عنهم نادر

هو ابن اسحاق سليل المقتدر عاد صبر العلا مثل صبر

أقام في الملك الضعيف مده طويلة بين الرخا والشده

عاما وأربعين عاما وربع حاز العلا مابين سيد وسبع

مستمسكا من ملكهم بالوهم وواقفا على أقل رسم

فلم يقم بالملك منهم قائم الا ابنه بويع وهو القائم

آخر ما ألفيت في الدفاتر تاريخ هذا القائم بن القاهر

سنة ثنتين مضت وعشرين تاريخه وأربع من المئين

وظهرت لمتونة في عهده في غربنا ولم تخف من جنده

ثم ناس لم يؤرخ ذكرهم ولا انتهى ملكهم وأمرهم

اتخذتهم هذه أتراكهم كأنهم بجهلهم أملاكهم

وهم اذا ما جئت للحقيقه أملاكهم من غير ما طريقه

فمن رأوا فيه فسادا رفعوه ومن رأوا منه رشادا خلعوه

لتستقيم دولة المماليك والملك لله العلي المالك

ولم يزالوا هكذا في الدهر كما ذكرناه الى ذا العصر

لايستبد أحد برأيه معهم في أمره أو نهيه

بل كل ما شاءوه يوما يفعل وماسوا هذا فليس يقبل

هذا مراد الله لامرد له من رام أن يزيله ما أجهله

ثم انقضا ملك بني العباس وطمع الملك طغام الناس

فلنرجع الآن لذكر المغرب وما جرى من كل أمر مغرب

لما غدا ملك بني العباس وغيرهم يحقر عند الناس

قد غلبت عليهم الممالك وكل من قام أمير مالك

قد قنعوا من العلا بالذكر وما لهم في حكمها من أمر

في كل أرض مسجد ومنبر وثائر بما يريد يذكر

فثار في مغربنا أناس من كل قوم وهم أجناس

أول من ثار بأرض المغرب ميسرة الحقير سوري الخرب؟

فازت به مطغرة بالمجد ولم يزالوا بعده في سعد

ثم أبو قرة ثار فيه ولم يزل في الملك يدعيه

وأربعين سنة أقاما   وملكه وسعده استقاما

ثم برغواطة أيضا بعده   قد ملكوا الغرب وحازوا مجده

وابن أبي العافية المكناسي   بعدهم ولم يزل ذا باس

ولم يزل يقاتل الأدارسه   حتى غدت علياه بعد دارسه

ثم بنو يفرن حازوا الغربا   وأظهروا الطعن به والضربا

وبعدهم أخوتهم مغراوه   وكان في أحكامهم قساوه

ثم أناس بعدهم لم يذكروا   لأنهم في دهرهم قد أقصروا

وقد بنوا في المغرب المدائن   حتى بنت مراكش الزراجن

هم الذين ملكوا البلادا   وشرعوا في العدوة الجهادا

جاءوا من الصحراء نحو المغرب   فذهبوا في الملك خير مذهب

هم الذين صنعوا الزلاقة   وطيبوا لديننا أخلاقه

وكان من أمرهم في العدوتين   ما صار تاريخا يروق الملتين

في عام خمسين وأربعمئة   جاءوا الى الغرب بنوق ملهيه

فجاء عبد الله نجل ياسين   بهم الى الجهاد مستعدين

فوجدوا في الغرب أنواع الفساد   فجعلوا حرب الطغاة كالجهاد

ان المرابطين هم من حمير   قد بعدت أنسابهم عن مضر

كانوا ملوكا في الزمان الأول   وأمرهم وحالهم لم يجهل

وقد رأيت في كتاب النسب   قولا به أعجز أهل الأدب

بأن صنهاج أبوه حمير   وهو أب لصلبه لا العنصر

أكرم به من نسب صريح   فقله لاتخلف من التصريح

عدلهم وفضلهم مشهور   ومجدهم وسعدهم مذكور

قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا   في غربنا وبلغوا فيه المنا

أول من في الغرب منهم قد أمر   هو أبو بكر الرضا نجل عمر

أقام في مغربنا أعواما   وأمره وعزه استقاما

كانت له مع العدا حروب قد مسهم بحرها لغوب

وكان ذا زهد وعقل وورع متبعا للمصطفى وما شرع

فجاءه من أرضه يوما خبر أزعجه لأهله لما ظهر

أن بني عمك في الصحراء قد أظهروا الحرب مع الأعداء

فحملته نحوهم حميه كانت له في نفسه الأبيه

فجدد السير وخلا المغربا وأهله فيه وأم السببسبا

وأمره مع الذي قد قدما أشهر في الدنيا من أن ينظما

لما مضى ابن عمر للصحرا وترك الملك معا والأمرا

قدم يوسف على بلاده حتى يعود بعد من جلاده

فقدموا ليوسف بن تاشفين وبيته من عامة المرابطين

فساس يوسف الأمور بعده لما رأى انبعاثه وبعده

فجاد بالأموال للجنود وعاد بالساقات والبنود

وامرأة ابن عمر تعينه في رأيه وملكه تزينه

وكان قد طلقها فردها من بعده يوسف يبغي سعدها

فكلما جرت عليه شده وجدها لكشفها معده

حتى اذا ابن عمر قضا الوطر وجاء يبغي ملكه لما ظهر

بات حزينا يوسف أمره وخاف أن يزيله بقهره

قالت له امرأته ما شأنكا مكتئبا الاترتضي مكانكا؟

قال لها: ان أبا بكر أتى والشيخ لايدركه مكر فتى

قالت له ان شئت بقيا الملك ونظمه من حينه في سلك

فأظهر الغلظة في مكانكا واحذر بأن تزول عن امكانكا

فانه اذا رأى منك الجزع كان له فيك وفي الملك طمع

وان بدت منك القوا والنجده والخيل والأبطال مستعده

فكان ما قالت له خليلته وهو لعمري سعده وحيلته

فسلم الملك له ابن عمر ولم يفز منه بغير النظر

وصار عن مراكش مجدا ويمم الصحراء مستبدا

فبايع الناس أبا يعقوب وفاز بالمقصود والمرغوب

بادا برغواطة بالقتال وبذهم في السهل والأجبال

ولم يزل حتى أباد جمعهم ثم زناتة أضاق ذرعهم

فهدن البلاد والمعاقلا وجمع الأجناد والقبائلا

وصار في مغربه مليكا لايرهب الأعداء والملوكا

كل يخاف بأسه ونجدته حتى النصارى يحذرون شرته

لما استقام ملكه ليوسف ونال في المغرب مالم يوصف

واشتهرت فرسانه بالنجده في كل أرض وبحسن العده

وكانت الروم بتلك العدوه في كثرة وعدة وقوه

ويحسبون أن من في الأرض دونهم بطولها والعرض

قد أظهروا الطغيان للأنام وأكثروا الجور على الاسلام

وكان ألفونشو اللعين مجتهد في جزية تعطا من أرض المعتمد

وكان يعطيها له ابن عباد في كل عام اذا رأى منه الفساد

وكان في تلك الأمور يعذر لأنه من غربنا لاينصر

يدعو فلا تغيثه القبائل ولا تجوز نحوه القنابل

قد ضعف الطالب والمطلوب وكاد نجم للهدا يغيب

فكتب الفونشو الى ابن تاشفين مستهزئا أن انصر المستضعفين

فما بأرض المسلمين غيركا لم لا يكون للجهاد سيركا؟

عليك نصر الدين فرض واجب اذ عندك الجنود والكتائب

وأنت تدعا بأمير المسلمين وقامع الكفار ثم المعتدين

وحضه حضا على الجهاد كأنه داع الى الرشاد

وكان من جملة ما قد كتبا وأظهر الهزء به واللعبا

وجه لنا مراوحا للذبان   فقد أقمنا في الحصار أزمان

وابعث لنا ان لم تصل مراكبا   نلق بها في أرضك الكتائبا

فهيج الفونشو اللعين وجده   فجد في قصد اللقاء جهده

حتى اذا ما حل في أندلس   بجيشه كالصبح أثر الغلس

واجتمعت كتائب الاسلام   وأقبلت عصائب الأصنام

وكان ما كان من الزلاقه   وأبصر الكفر بها محاقه

وذاق ألفونشو اللعين ما طلب   وعاد كل جيشه الى السلب

ونصر الله حماة الدين   وفاز بالأجر ابن تاشفين

ولم يقصر في الحروب المعتمد   فانه على الاله معتمد

ولم يقصر في برور يوسف   في المرة الأولى ولم يستنكف

ونجل عباد له ينادي   لحينه هلم للجهاد

فعاد أيضا للجهاد ورجع   واستلب الكفار أيضا وقمع

وكان قد بدت من ابن عباد أشياء تدعو كلها للانتقاد

فبعضها لايظ اذا ناداه لحضره بالكيد مع سواه

لم تصف فيه نية للمعتمد وكلهم يلومه وينتقد

وأمرهم وحالهم مشهور وأمر ربي قدر مقدور

فخلف ابن تاشفين قائدا لحصره وجاز عنه قاصدا

فصار يوسف أمير العدوتين بعد ابن عباد وملك الملتين

ونال في دنياه ما قد طلبا وملك السوس وحاز المغربا

فحوصرت اشبيلية الغراء وحل بالمعتمد البلاء

فحمل المعتمد المذكور لأرض أغمات له ثبور

ويوسف مناه تستقيم والسعد في أرجائه مقيم

حتى دهاه ما دها الملوكا وجمع الغني والصعلوكا

فمات حتف أنفه وصارا لفعله لم يتخذ أنصارا

فهذه عوائد الأيام بكل ذي ملك على الدوام

في عام خمسمئة قد ماتا وما لقي في ملكه آفاتا

مئة عام كان أقصى عمره ولم يزل في حزمه وصبره

لما أذيق يوسف كأس الردا قام على نجله قطب الندا

ثم اقتدا بفعل يوسف أبيه وقرب الدهر له ما يبتغيه

فمهد العلياء والبلادا وبذل الطارف والتلادا

وشيد البنيان في مراكش قبل ابتداء الحرب والتناوش

وبقيت آثاره في الحضره في وقتنا هذا تبين قدره

محمودة آثاره وسيره ووردة الى العلا وصدره

أقام في الغرب سنين عددا قد أحرز الملك وحاز العددا

وكل من في العدوتين خائف من بأسه ما ان له مخالف

حتى أتى المهدي بالتوحيد لأرضه في طالع سعيد

في عام عشرة أتى المهدي لغربنا وأمره خفي

جاء من الشرق الى المصامده مشمرا ومخفيا مكايده

ولم يزل يطلب عبد المومن وعن طلاب شخصه لم ينثن

وكان قد حاز كتاب الجفر من الفقيه ذي العلوم الحبر

ثم تلقاه فسار قصدا ميمما لمتونة مجدا

فقصدا مراكش القديمه والدولة الغراء مستقيمه

يدارس العلم بها محمد فصار في تلك العلوم يحمد

فقيل لابن يوسف علي هذا الذي ندعوه بالمهدي

صاحب هذا الدرهم المركن ملكك ان بويع لم يؤمن

ان أنت لم تصنع له كبولا يكون فيها , فاستمع طبولا

وما لما شاء الاله دافع فانه لاشك فاعلم واقع

ثم نفاه فأتى المقابرا فصار فيه للقبور عامرا

قال له علي قد نهيتكما عن بلدي فلم هنا رأيتكما؟

قال له إني ألفت الموتى ولم أخف بما فعلت موتا

فصار في تلك الجبال يدعو نوع يجيء ثم يمضي نوع

فجاءهم في الحين بالتوحيد مخاطبا بالوعد والوعيد

ألفه قبلا بلفظ البربر بالعشر والأحزاب ثم السور

فصار كالقرآن للمصامده من جد فيه نال كل فائده

ووجد الناس بها جهالا فألفوا القيل بها والقالا

ناهيك من قوم على الأجبال لا يعرفون الناس كالأوعال

اتخذوا سنته منهاجا وأقبلوا لنصره أفواجا

فرتب العشرة والخمسينا ومكن الملك بها تمكينا

وكل ذلك مراد ربنا وحكمة أحكمها في غربنا

فلم تزل تطيعه القبائل وتقبل الجموع والمحافل

حتى أتت جيوشه الى علي   فقاتلوه جحفلا في جحفل

سموهم لمتونة الخوارجا   لأنه كان عليهم خارجا

فسموا الخوارج الملثمين   في الحين والساعة بالمجسمين

واعتقد المهدي أن من سبا   منهم كعلج أو كعبد قد صبا؟

واعتقدت لمتونة اعتقاده   وغيب الدهر لهم ارشاده

كل يرى بأنه على الهدا   ولم يزغ عن سنة ولا اعتدا

ان شئت قول الحق دون شك   ما اعتقدوا الا طلاب الملك

عشرة أعوان وعامين بقي   في حربه علي وهو يرتقي

وأمره وأمرهم مذكور   عند الأنام حاله مشهور

فمات حتف أنفه علي   وفعله وأمره مرضي

أقام سبعا وثلاثين سنه   بعد أبيه نصفها مهدنه

ثم تولى تاشفين بن علي   وملكه من بعدهم لم يكمل

تنكرت عليهم الأيام كأنما ضياؤها ظلام

لما انقضت لتاشفين المده لم يغنه مال وحسن عده

ورجع التدمير في التدبير والمال بالتبذير كالتقصير

ولم يزل نجل علي تاشفين في الشرق ذا خوف من الموحدين

يحكم في وهران مع تلمسان وملكهم عفت عليه الأزمان

وملكت مراكش وغيرها وصار شرا لذويه خيرها

ثم احتوا الجميع عبد المومن ثم أتى لحصره ولم ين

فاستنزلوا بالقهر من وهران واستبدلوا العزة بالهوان

سنة تسع وثلاثين قضا من بعد خمسمئة وانقرضا

وانقرضت دولتهم بالجملة وملك المشرق دون مهله

وهذه عوائد الزمان تذهب بالأمان والأماني

مدتهم تسع وتسعون سنة فبدلت عزتهم بالمسكنة

ورجعت سعودهم نحوسا   وأسكنوا الأحداث والرموسا

لما أتى المهدي أرض الغرب   بسيرة وحيلة ومذهب

وكان بالعلوم ذا اشتغال   عند أبي حامد الغزالي

له ذكاء وانتقاد وفطن   وانه لمحنة من المحن

كان أبو حامد المذكور   اذا رآه ذا يثور

لابد أن يربع الدراهما   وسيرى في المغرب العظائما

فقد رأيت ذاك في صفاته   وانه في الدهر من آفاته

فعلم المهدي أن عنده   جفرا بما قد قاله وعده

فاحتال حتى فاز بالكتاب   وانقض في المغرب كالشهاب

وكان ما ذكرته من حاله   وحال لمتونة في اقباله

فشرع المهدي ما قد شرعا   من الأمور سنة أو بدعا

ومهد الملك عبد المومن   ومن جنا ثمر العلا لم يجتن

حتى اتاه القدر المقدور وموته وأمره مشهور

في عام أربع وعشرين سنة من بعد خمسمئة مبينة

بويع عبد المومن الهمام ولم يكن في عصره اظلام

دولته عليهم ميمونة بادرت بها من حينها لمتونة

ولم يزل يفنيهم ويقتل وأمره وأمرهم لايجهل

ان قلت عنه سائل ما نسبه؟ فمن زناتة الكرام أصله

بر بن قيس جده لايجهل من حاج عنه قوله لايقبل

سيرته في الدهر خير سيره وكان ذا عقل وذا بصيره

ما زال في الملك نسيج وحده مباركا مؤيدا في سعده

افتتح المغرب ثم المشرقا ومهد العليا وساد وارتقا

ولم يزل يدنو اليه الأمل حتى أتاه في المقام الأجل

فمات ليلا برباط الفتح وكان ذاك الأمر قبل الصبح

مات ولم يركن الى اللذات وذاته أعظم بها من ذات

أعوامها في عدها اذ تسمع عشر وعشر وأربع

فالله يجري فعله بجنته بفضله وطوله ومنته

لما قضا وحل وسط قبره بويع يوسف ابنه في أثره

ثم اقتدا بفعل عبد المومن يبغي جهاد كل من لم يؤمن

فجمع الأموال والذخائرا وألف الجنود والعساكرا

من السويقة لأرض سوس يجبا له المال بلا نكوس

فمهد الملك كتمهيد أبيه ونال فيه كل أمر يشتهيه

والناس في أيامه في أمن كأنهم من عدله في عدن

أيامه كانت ثلاثين سنه بعد ثلاث كلها مؤمنه

لما أتاه القدر المقدور قام ابنه يعقوب المنصور

أيامه في الدهر ما أحسنها على الورا طرا وما أزينها

هو الذي منع عام الأرك ولم يدع جيشا لأهل الشرك

أعظم بها من غزوة مشهوره وغيرها لاكنها المذكوره

وأبصر الكفار في أيامه ماقرب الكفر من اسلامه

وكان ذا علم يحب العلما ملازما للفقها والحكما

أول من قد صنع المدارسا ومكرما من ظل فيها دارسا

وكم بنا من مسجد وصومعه ومن قباب كلها منوعه

أفعاله مشهورة في المغرب من البنا في كل ربع سبسب

وكم أتى مما به سيرحم من كل فعل فضله لايرحم

عشرة أعوام وستة بقي مؤيدا في الغرب ثم المشرق

فجاءه من بعد ذاك الأجل وكل عيش زائل منفصل

لما ألقى يعقوب يوم وعده قام محمد ابنه من بعده

ووجد الملك قد استقاما ياليته لو ألف المقاما

أراد أن يكون كالمنصور أبيه في العلاء والظهور

فاستنفر الناس من الأمصار فأقبلوا من سائر الأقطار

حتى أتا للغزو منهم أمم كل الى حرب العدا يزدحم

وكان يخفي النصح بعض الوزرا فلا يريه من مكان خبرا

أغووه حتى قتل ابن قادس وكان للاسلام خير فارس

وكل ما يأتي من البلاد من خبر يخفونه في النادي

لو كانت الآراء مستقيمة ما كان هذا سبب الهزيمة

أو ظهرت في ملكهم نجابه أو نجده ما غلظوا حجابه

حتى اذا ما التقت الجمعان فرت حماتهم عن الميدان

وانهزمت جيوش أهل الدين ومات كل من أتا في الحين

وحكمت فيهم سيوف الروم في طالع على العدا مشؤوم

أضحا له العقاب كالعقاب وهو قضا للدين بالذهاب

من هذه الهزيمة المذكوره لم تر أعلام الهدا منصوره

الا الذي أذكره من بعد فهو لعمري بغيتي وقصدي

لم ينج من جيش الهدا الا الأقل وارتفع الكفر وبان واستقل

ورجع الناصر نجل المنصور لأرض مراكش يلهو في القصور

فمات مسموما بأمر الوزرا في شرب كأس ألحقته بالثرا

وكان في نيته قتلهم لكنهم أنقذهم فعلهم

قد قيل ان رأيتم الوزيرا بماله يكاثر الأميرا

اذا الأمير الندب لم يصرعه فانه مصروعه فدعه

ثم تولى نجله المستنصر وكان عن فعل الجهاد يقصر

لم تمتثل أحكامه في العدوه وكل خلق في مكان قدوه

من كان قد قدم في مكان أطمع في العلياء والامكان

أقام في مراكش سنينا قد ألف النعيم والسكونا

ينتج الأبقار والأفراسا حتى لقي من بعضهن باسا

فمات مقتولا لابقرن بقره وهذه فاعلم أمور منكره

فقام بالملك أخو المنصور وخلعه من أعظم الأمور

قد قتلوه بعد ما قد خلعا ولم يخافوا القتل والسبي معا

في قتل عبد الواحد بن يوسف قد ركبوا أمرا لهم لم يعرف

ورجع الأشياخ كالأتراك مع بني العباس في الأملاك

قد دبروا بجهلهم تدبيرا كان على ملكهم تدميرا

بفعلهم كان خراب الدوله وقتلهم في الأرض شر قتله

فبايعوا من بعده للعادل واتبعوا آراء كل عاذل

واتخذوا ملوكهم هزوا وكان هذا منهم غلوا

فقتلوا العادل كالمخلوع وسخط الله على الجميع

فبايعوا ابن الناصر بن المنصور يحي وقد بان الفساد والشرور

وعادت الأشياخ فيهم تعبث   تؤكد البيعة ثم تنكث

ووجهوا البيعة للمأمون   وخرج الأمر عن القانون

فجاء ادريس من أرض الأندلس   أيده عليهم روح القدس

جاءهم بزعماء الروم   محتسبا للواحد القيوم

فافترق الجنود فرقتين   وصارت الدولة دولتين

وصار ابليس لهصراخ   وكل هذا ما جنا الأشياخ

فهام ادريس بحرب يحي   وكلهم في حربه قد أعيا

واشتعلت بينهما الحروب   فقر يحي وله تأويب

حتى اذا المأمون حاز الحضره   ونال بعد غربه وقطره

فأحضر الأشياخ ثم نادا   أين الذين أظهروا العنادا

وقتلوا الأخوان والأعماما   وما رعوا عهدا ولا ذماما

وأظهر الكتب التي قد بعثوا   وبين العهد الذي قد نكثوا

فوقعت على الجميع الحجه فبهتوا كساقط في لجه

فقتل الأشياخ حيث كانوا من البلاد أينما استكانوا

لم يبق في البلدان منهم أحدا ولم يراع والدا أو ولدا

وفعل المأمون فعل ماجد فيهم وأفنى كل طاغ مارد

ولعن المهدي فوق المنبر وعاد دهرا بالثنا لم يذكر

ثم محا من الدراهم اسمه كما أمات في البلاد رسمه

ودور الدراهم المركنه ورد فيها كتبها وأتقنه

وقال كل ما فعلنا بدع مهدينا وأمره لا يتبع

خلوه لا مهدي الا عيسى فقد سئمنا أمره التعيسا

وقال: لا تدعوه بالمعصوم وادعوه طول الدهر بالمذموم

على يديه كان محو الدوله وذهبت نخوتها والصوله

حتى لم يبق فيهم ثارا وركد الأمر الذي اثارا

وقد شفا غليله لقتلهم وذوقوا ما ذوقوا بفعلهم

ومهد المغرب ثم عادا للحضرة العليا وقد تمادا

فمات في وادي العبيد المامون والدهر في الخلود غير مامون

ذاق الذي ذاق الملوك قبله ولم يجد في القبر الا فعله

ثم تولى الملك خير ماجد ولده الرشيد عبد الواحد

فجاءه يحي يروم حربه والدهر قد أزال عنه حزبه

فعاد يحي خاسرا مهزوما لم يستطع في بلدة لزوما

في فج عبد الله لاقاه الحمام فخر مقتولا بأطراف الحسام

ثم بقي الرشيد كالرشيد مستصحبا لرأيه الرشيد

في غبطة وهدنة وعيش ما ان مضى لثائر بجيش

عشرة أعوام كذا أقاما وقد لقي في قصره الحماما

في عهده جاءت بنو مرين وظهروا في الغرب كالجنون

حتى اذا ما هلك الرشيد كان لهم في غربنا تمهيد

فقيل مات وسط نهر سابحا في قصره وقيل مات طافحا

لما غدا في قبره الرشيد قام أخوه بعده السعيد

لم تستقم أموره بالغرب لأنه لاقى أشد الحرب

تغصه فيه بنو مرين اذ أخذوا مكناسة الزيتون

وأمره وأمرهم أذكره في رجزي فافهم اذا تبصره

مع أبي بكر بن عبد الحق ذكرته وقتله في الشرق

في عام ستة وأربعينا ذاق السعيد بالظبا المنونا

وانتهبت زناتة ما جمعا وفرس جاء له متبعا

وأخذت مكناسة وفاس من بعده فحزنها أعراس

وهكذا الأيام فافهم دول وما على أحوالها معول

فبايعوا بعد السعيد المرتضا لما قضى الدهر عليه ما قضا

وكان ذا زهد يحب الفقرا وطبعه الى السماع قد جرا

وكان مشغوفا بتنميق البنا ما ان له عن البناء من غنا

أراد لما بايعوه الحربا مع مرين كي يحوز الغربا

فجاء في وجد لأعلانا فكان من خسرانه بعد ماقد هزما

لم يستطع من بعده أن يقدما على الحروب بعد ماقد هزما

كم قد أباد من وفود العرب في قصره وفيهم لم يذنب

لأنهم كانوا أبادوا الناسا في الطرقات يظهرون الباسا

حتى اذا جاءوه كالوفود يبيدهم بالسيف في صعيد

بثالث العمرين سما نفسه مغالطا, وذاك أدنا نحسه

أقام فيهم تسع عشرة سنه في قصره وأرضه ممتهنه

يقيم في مكانه لايقدم وجيشه يبعثه فيهزم

ما زال في مراكش في مهنه اتخذ السماع دهرا خدنه

بقطرها وحوزها قد قنعا لايبتغي فيما سواها طمعا

حتى أتاه يوم النحيس لما أتى حضرته ادريس

فقر لما جاءه من حضرته وترك القصر له بجملته

وجاء آزمور في بنيه في حالة منكرة تبكيه

وكان قد خلف فيها ثقته وكان يبدي حبه ومقته

أعطى الوفا قبل في فدائه وظن أن ينقذه من دائه

فخانه ثقته وأسلمه لخصمه من وقته ما الأمه

لم يرع عهدا لا ولا ذماما وجحد الاحسان والانعاما

لو كان قد خلف فيها نجله لم يلق منه غدره وختله

فكن كثير الحذر من ولاتكا لحذرك الشيطان في صلاتكا

لا تأمنن منهم نصيحا في بلد الا حفيدا ذا احتفاظ أو ولد

وما سوا هذا فعد عنه لو نلت ملك الأرض من لدنه

لاسيما من يكسب الأموالا ويرقب الأمور والأحوالا

فالمال يطغي ربه ويفسد نيته لو زانه التعبد

في شأن هذا عبرة لمعتبر فليزدجر ذو مكنة أو يغترر

من رفع السفيه والوضيعا لايأمن الأمور أن تضيعا

من يصطفي من ليس يدري قدره فليرتقب كمثل هذا غدره

يقال من أشبع كلبا أكله ومن يربي فرخا ذيب خذله

ان الأقارب هم العقارب والأخ فخ هذه تجارب

والخال لابن الأخت كالوبال والعم غم قيل في الأمثال

وأما من تدعوه نجل العم فذاك في الأشياء مثل السم

ما يجد الانسان في الشدائد الا التزام ولد ووالد

وانما الغير ذئاب في ثياب وأمرهم في دهرهم أمر عجب

قد قال ربنا (خذوا حذركم) فهذه مواعظي جاءكم

فاسمع كلام الحق دون مين لايلدغ المؤمن مرتين

فمات هذا المرتضى ذبيحا ونجله لجبنه طريحا

وخلص الملك الى ادريس وهو الذي يكنى أبا دبوس

لما أصيب بالحسام المرتضا نال أبو دبوس كل ما ارتضا

ورجعت مراكش في حكمه وقطرها قد حازه بحزمه

ووجد الأموال والذخائرا في قصره فجمع العساكرا

وظل يدعو كل نجد فارس وكل ليث بطل ممارس

وصار يعطيهم عطاء وفرا ليملك الملك ويعطي الأمرا

وحدثته نفسه الأماره أمرا به جهلا رأى دماره

حتى أباد كل ما خلا عمر ولم ينل من كل ما يرجو وطر

أقام في الملك ثلاثة سنين محاصرا تنهره بنو مرين

حتى رأى من بأسهم ما يذكر وقتله وحاله لاينكر

عام ثمان بعد ستين مضت من بعد ستمئة قد انقضت

لاقى أبو دبوس يوم وعده ولم يقم فيهم فتا من بعده

وانقرضت دولة عبد المومن من غربنا وحالهم لم يؤمن

كم قد رأوا في الدهر من سعود ورفعة في الأرض بالتوحيد

مئة عام ملكوا وأربعين وسنتين والعلا لهم تعين

حتى دهاهم ما دها الأكاسره وشتت الأقيال والقياصره

وهكذا ما زال حكم الدهر يجري على أهل العلا والأمر

لقد جرت في دهرهم أمور عجيبة وحالها مشكور

ان سمعوا عمن مضا فضيله اتخذوا الفضل لها وسيله

حتى تكون في الورا منسيه بحالة مشكورة مرضيه

فرجعت أيامهم أعيادا واطرد السعد لها اطرادا

وعارضوا ملك بني العباس حتى علوا واشتهروا في الناس

والمرء فاعلمه حديث بعده وكل خلق سوف يلقا وعده

فكن حديثا حسنا ان شئته واحرص على الثناء ان أردته

لما أراد الله ذو الفضل المبين أن يجعل الملوك من بني مرين

وأن يبيد دولة الموحدين بعد العلا والعز والمجد المكين

كان الملوك الأولون منهم كل الى فعل الرشاد يلهم

حتى أتت بعدهم خلوف مأواهم القصور لا الزحوف

وتهلك الملوك بالاعجاب ويفسد الملك بالاحتجاب

والظلم أيضا سيرة لاتحمد والجور فاعلم ناره لاتخمد

ولم يعن على انقراض الدول من بعد هذا كاصطناع الفشل

أخبركم معاشر الأنام ذكر مرين فاسمعوا كلامي

عنصرهم من أكرم العناصر أقدم من قيصر والقناصر

مع النبي يلتقون في مضر أكرم به من نسب لايحتقر

منه تناسلت بنو مرين فهل لهم في الناس من قرين؟

قد أجمع المؤرخون كلهم أنهم بر بن قيس أصلهم

قصته عجيبة مشهوره في كل تاريخ ترى مذكوره

حين مشا قصدا الى أخواله وفر بالمرأة خوف الواله

ولم يزل مذ فر بين البربر حتى غدا من نسله في عسكر

ثم تكاثر هناك نسله فيهم ومن مضر كان أصله

وقد رثته أخته تماضر بخير شعر أعجز الخواطر

في قولها: شطت ببر داره وكان في حجازنا قراره

والقول في بر كثير جدا لم تستطع حصرا له وحدا

وإنما ذكرت منه نزرا ليعلم الجاهل منه خبرا

ولم تزل زناتة مع العرب مجاورين في مراعيهم حقب

مذهبهم كمذهب الأعراب لقربهم في الأرض والأنساب

سكناهم الصحراء والسباسب وشكلهم لشكلهم مناسب

فجاورت زناتة البرابرا فصيروا كلامهم كما ترا

ما بدل الدهر سوى أقوالهم ولم يبدل مقتضا أحوالهم

بل فعلهم أربا على فعل العرب في الحال والصواب ثم في الأدب

فانظر كلام العرب قد تبدلا وحالهم عن حاله تحولا

لايعرفون اليوم ما الكلام وما لهم نطق ولا افهام

وان تمادت بهم الأحوال لم يبق في الدهر لهم أقوال

كذالك كانت قبلهم مرين كلامهم كالدر اذ تبين

فاتخذوا سواهم خليلا فبدلوا كلامهم تبديلا

في عام عشرة وستمئة أتوا الى الغرب من البرية

جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجائب

كمثل ما قد دخل الملثمون من قبلهم وهم له ميمون

وكان هذا الغرب للخوارج محوه في الأخير بالنوارج

تشاغلوا باللهو والخمور واحتجبوا عن أوكد الأمور

وركنوا للغيد في القصور حتى دعاهم ذاك للقصور

فانتشرت مرين كالجراد في الغرب قد عمت على البلاد

ودخلوا مرحلة فمرحله حتى أبادوا الجيش عام المشعله

وكم أمير منهم قد كانا في الشرق والغرب حوا السلطانا

وكان في مرين عبد الحق ذا ورع قد حاز كل صدق

طعامه وشربه حلال وماله في قومه مثال

رأى على طهارة منامه كانت دليل الملك والامامه

رأى كأن شعلة من نار منه علت في سائر الأقطار

ثم احتوت على الجهات الأربع ولم تدع في غربنا من موضع

فدلت الرؤيا على التعظيم والملك والتأييد والتفخيم

على بنيه الماجدين الأربعه أن يملكوا المجد الأثيل أجمعه

ويأخذوا ماقد حوته النار فكان ماقد شاءه الجبار

وكل شيء بقضاء وقدر وفي الزمان عجب وعتبر

بذاك حقا نفذ القضاء والله يؤتي الملك من يشاء

كذاك حكم الدهر ناس بعد ناس ملك وملك وانتظام والتباس

لما أراد الله احياء الورا وأن يؤمن البلاد والقرا

من بعد ما كانت بها القبائل في الغرب لاتردها القنابل

قتل النفوس عندهم مباح لاسيما فازاز أو رياح

قد أوقدوا في المغربين النارا ولم يجد خلق بها قرارا

من كثرة الأهوال والمجاعه وكل من في الغرب خلى الطاعه

وكل من يريد أمرا يصنعه اذ لا أمير بالجيوش يمنعه

قد التهوا بالغيد والأغاني واشتغلوا باللهو في المغاني

فحاربت مرين أهل المغرب   ولم تدع لثائر من موكب

ولم تزل حربهم تطول   ولا فتا عليهم يصول

وانتبهوا من استحق النهبا   حتى أبادوا عجمها والعربا

واعتز عبد الحق في الأنام   بفعل أولاد له كرام

وكان قبل فيهم معظما   لكنه زاد وساد وسما

واكتسبت به بنو حمامه   عزا ليوم الحشر والقيامه

فمات عبد الحق مع ادريس   ولده المبارك الرئيس

في وقعة كانت بواجرهان   أفنتهما وكل شيء فان

من بعد ماقد شتتوا رياحا   وما رأوا من بعدها صلاحا

يارب وسع في الثرا عليهما   واجعل أجل رحمة اليهما

ولم يكن في غربنا أمان   حتى تولى أولا عثمان

فظهر السرور والأمان   وحسن المكان والزمان

وأمنت مكناسة وفاس وارتفع الخوف والالتباس

فأمن الطرق وأفنا من طغا وذل من ضلل قدما وبغا

وانطلقت في المغرب التجار وكل خلق منهم يجار

وكان عثمان شديد الحزم ذا نجدة في قومه وعزم

كنيته أبو سعيد قد سعدوا برأيه الرشيد

من قبله مرين لاتنقاد لأحد منهم ولا تكاد

سيرته الكرام كل صالح لما يرجيه من المصالح

يستوهب الدعاء في المساجد مستشعرا خوف الاله الماجد

وكان ذا عقل وذا ديانه مشتهرا بالعدل والامانه

فاغتاله علج له رباه بحربة بحدها أفناه

فمات في الحين بها وفاتا وصار بعد عيشه رفاتا

ذاك سبيل سابل وغابر اليه يمضي أول وآخر

من ذا الذي يبقى على الأيام سوا المليك الواحد العلام

أين الأولى ذوو العلا والسؤدد فهل تحس منهم من أحد؟

لم يغنهم جند ولا أموال والدهر لاتبقي به أحوال

يارب قدس روحه الزكيه وأدخله جنتك العليه

لما غدا في قبره عثمان قام محمد الرضا الديان

ثم أتى فعل أبي سعيد في الحزم والتدبير والتسديد

وكان شهما بطلا شجاعا مؤيدا في قومه مطاعا

وكان لايفتر عن قتال مرتكبا للحرب والأهوال

كم عسكر لاقا وكم جنود ومن جموع جمة الحشود

وكل جيش جاء من مراكش أفناه بالحروب والتناوش

نهاره وليله طعان لكنه مؤيد معان

كان جوادا حسن الرياسه مشتهرا بالعقل والسياسه

ووعده فيما يقول صادق وقوله لفعله موافق

كنيته فيهم أبو معرف ذو سطوة بحد كل مرهف

لاقا زعيم الروم في الهياج فلم يكن من بأسه بناج

مات شهيدا حسن الشهاده وكتب الله له السعاده

باد وخلى بعده علياه يا ويح من تخدعه دنياه

وكل خلق في الثرا أسلمه ولم يجد الا الذي قدمه

وخير زاد المرء تقوى الله فاعمل عليها واعص قول اللاهي

ان الزمان ماله أمان وان تمادى الحسن والاحسان

تعسا لهذا الدهر ما أنكاه ان أضحك المرء ضحى أبكاه

وكل شيء فيه لايدوم الا الاله الواحد القيوم

ذاق الردا الليث أبو معرف كأنه بعد الردا لم يعرف

أسكنه الله جنان الخلد ونال في الدارين كل السعد

لما قضا يوما ولاقى وعده   قام أبو بكر أخوه بعده

أول من منهم حوا الجنودا   واتخذ الطبول والبنودا

وملك الحصون والبلادا   واكتسب الطارف والتلادا

وسعدت به بنو مرين   لما حبى بالنصر والتمكين

سيرته في الحرب ضرب الهام   والحزم والعزم مع الاقدام

وكان نجدا مطلق اليدين   يرمي الذي يلقى بحربتين

ولا يطيق بطل يبارزه   ولا زعيم في الوغا يناجزه

وكان في الحرب نسيج وحده   يقوم في الجيش مقام جنده

راحته بالجود كالغمام   ووجهه كالبدر في التمام

يعطي مرين الخيل والنصارا   عطاء من لم يخف افتقارا

فاق ملوك الأرض بالكرامه   وبالوفا والصدق والزعامه

له حروب ورخت بالمغرب   يعزب عنها كل من لم يعرب

لاقت به الشدائد الخوارج   وكل من لاقاه منهم دارج

أول ماقد ناله مكناسه   أخذها بالحزم والسياسه

كانت عليهم بلدة سعيده   لكل مجد داثر معيده

وبعدها نال الذي أذكره   من البلاد حسبما تبصره

في عام ستة وأربعينا   من بعد ستة من المئينا

حل أبو يحي بوسط فاس   وعمت الفرحة كل الناس

سببها لما أتى السعيد   والسعد منه اذ أتى بعيد

جند من مراكش الجنودا   وجمع الأعراب والحشودا

فرت بنو مرين في الجبال   من خوفه بالمال والعيال

وودعوا مكناسة الزيتون   وغيرها وارتحلوا في الحين

وعولوا أن يدخلوا الصحراء   لأنه أغرا بهم اغراء

وكان ذا بأس شديد وجلد   لكن والدته أم ولد

كانت له عونا بنو عبد الواد ومن بني مرين بعض الأنجاد

في تامزردجت أتى حمامه وانتكست من حينها أعلامه

فيا لها من وقعة شديده كانت على زناتة سعيده

بها أبو يحي حوى البلادا وزاد ملكا ثانيا وسادا

وحل في فاس بسعد مقبل وعدله في أهلها لم يجهل

ثم رأت شيوخ فاس غدره وأن يخونوه ويعصوا أمره

فقتلوا وزيره السعودا وفارقوا الأمان والسعودا

وغلقوا الأبواب عاما كاملا وأخرجوا من كان فيهم عاملا

فحوصروا في مرة ثانيه وأخذوا بأخذة رابيه

فقتل الأشياخ يوم الأحد في رجب ولم يقل من أحد

ولم تزل بسيفه تحاط مكناسة وفاس والرباط

ثم سلا حاط وأرض القبله ونال مالم يره من قبله

وهذه جملة ماقد ناله من البلاد ورأى آماله

في الشرق والغرب له حروب يعجز عن وصف لها اللبيب

كم وقعة لاقا به يغمور فؤاده من ذكرها مذعور

اذ فر لاقاه عن خيامه وحل فيها بعد في مقامه

وكم رأى بسيفه من شده وسط الحروب بيسلي ووجده

وفر في البيدا فرار الآبق على جواد للخيول سابق

وكم رأى يغمور من كروب في باب تاحسنانت بالحروب

خلا سجلماسة ثم سارا موليا لم يتخذ قرارا

وكم أباد في بني بهلول من بطل وفارس بهلول

وذاق منه عمر الخياط شدائدا كانت به تناط

اذ شتت بنو مرين جنده وترك الجيش وولى وحده

واستلبوا الأثقال والذخائرا والتبر والياقوت والجواهرا

ولم يطق من بعد ذاك المرتضا يخرج عن مراكش ولا ارتضا

وعاد فيها يطلب السلامه من بعد ما قد أبصر القيامه

ما زال في سعد وملك قائم معظما في العرب والأعاجم

حتى انقضت أيامه وسعده وجاءه سهم الردا ووعده

في عام ستة وخمسين قضا وجاءه في رجب سهم القضا

فمات حتف أنفه بفاس والموت غاية لكل الناس

عشرة أعوام توالى ملكه وجاءه من بعد ذاك هلكه

لا تأمن الدنيا ولا الزمانا ولا ترج منهما أمانا

وكن وقيت منهما على حذر من ذا الذي يدري بما يجري القدر؟

لا يأمن الدهر الغرور عاقل الا جهول بالأمور غافل

بينا الفتا يلهو بجمع المال ويكثر الحرص مع الآمال

لاقاه صرف الدهر بالحوادث وعاد ما قد ضمه للوارث

يأكله لما حلالا طيبا ثم يعود ربه معذبا

فانظر أبا بكر وما قد نالا من العلا قدما وما قد صالا

وكم حوا من أكرم الذخائر ومن أجل الخيل والعساكر

لم يغن عنه اذ أتاه يومه ولا حماه جيشه وقومه

أين الملوك الماجدون قبله والمشبهون فعله وقوله؟

وأين ملك الصعب ذي القرنين؟ وملك البرين والبحرين؟

وأين ملك تبع وكسرى؟ وأين من أعظم منهم قدرا؟

وأين أملاك بني أميه؟ وغيرهم من سائر البريه؟

وأين أملاك بني العباس؟ أولى المعالي والندا والباس؟

وأين من قاد الجياد واعتدى؟ لم يبق سهم الموت منهم أحدا

ما للفتا الا الذي قد قدما من قبل أن يلقى الردا ويندما

مات أبو بكر ولاقا وعده فقام يعقوب أخوه بعده

أول من منهم حما الاسلاما   وشتت الصلبان والأصناما

وأمره في العدوتين ممتثل   وملكه قد جل عن ضرب المثل

سيرةُ يَعقوب بن عَبد الحق   قَد حازَ فيها قَصبات السَبق

سيرتُهُ أَن يَقرأ الكِتابا   وَيذكر العُلوم وَالآدابا

يَقوم لِلصلاة ثلثَ اللَيل   وَما لَهُ عَن وِردِهِ مِن مَيل

حتّى إِذا ما الصُبح لاحَ وارتفع   قامَ وَصَلّى للإله وَرَكع

وَضجّ بالتَسبيح وَالتَقديس   حَتّى يُتمّ الحزبَ في التَغليس

يَقرأ أوّلاً كِتابَ السير   وَالقصص الّتي بِكُلّ خَبَر

ثمّ فُتوح الشام بِاجتِهاد   وَبعده المعروف بالإنجاد

سُؤاله تَعجز عَنهُ الطَلَبه   وَمن لَديهِ مِن أَجلّ الكَتَبه

يَقعد للكُتّب إلى وَقت الضُحى   ثم يصليها كفعل الصلحا

وَيأمر الكُتّاب بالأَوامر   في باطن مِن سرّه وَظاهر

وَيدخلُ الأشياخُ مِن مرينِ لِلرأيِ وَالتَدبيرِ وَالتَزيينِ

مَجلسُهُ لَيسَ بِهِ فُجور وَلا فَتى في قَولِهِ يَجُور

كَأَنَّهُم مِثلِ النُجومِ الزّهرِ وَبَينَهُم يَعقوبُ مِثلِ البَدرِ

قَد أُلبِسَ الوَقارَ وَالسَكينه وَحَلّ في مَكانَةٍ مَكينه

حَتّى إِذا ما حانَ وَقتُ الظُهرِ قامَ إِلى بَيتِ النَدى وَالفَخرِ

يَبقى إِلى وَقتِ صَلاةِ العَصرِ يَأتي بِقَصدِ نَهيِهِ وَالأَمرِ

فَيُنصفَ المَظلومَ مِمّن ظَلمه وَلَم يَزَل إِلى صَلاةِ العَتَمَه

ثُمّ يؤمّ بَيتَهُ الكَريما وَيَترُكُ الوَزيرَ وَالحَريما

ثُمّ يَنامُ تارَةً وَتاره يدبّر الأُمورَ وَالإِداره

ما إِن يَنام اللَيلَ إِلّا ساهِرا يَنوي الجِهادَ باطِناً وَظاهِرا

رَأَيتُهُ يَصحبها التَمكين مُبارَكٌ طالعه مَيمون

فَأَمّن الغَربَ مِن الفَسادِ وَنَشَرَ العَدلَ عَلى العِبادِ

وَلَم يَدع فِي الغَرب مَن يَجُور   وَزالَت الأَهوال وَالفجور

وَخَضَعَت مَرينُ تَحتَ قَهره   وَأَذعَنوا لِنَهيه وَأَمره

وَرَفَع الظُّلم عَن الرَعيه   وَقمع الطغاة في البَريّة

فَهَل سَمعتُم مثل هذي السيره   وَهذهِ المآثر الأَثيره

كَذاكَ كانَ فعله قَديما   بِذاكَ نال الملكِ وَالتَعظيما

أما اذا ذكرت منه الجودا   فذاك شيء أعجز الوجودا

كم من فقير جوده أغناه   وكم امير سيفه أفناه

وكم شجاع في الوغا قد جدله   يلقى الكمي حتفه ان جدله

تراه في الحروب كالشهاب   وسيفه في الهام ذا التهاب

والخيل خوفا منه وسط العيثر   كحمر فرت أمام القسور

رأيته يصحبها التمكين   مبارك طالعه ميمون

يا ويح من يغدر أو يخونه   في الحين يأتي نحوه منونه

نيته صحيحة سليمه تغلب كل نية سقيمه

لولاه ما نالت بنو مرين كل المعالي والمنا والدين

هو الذي أنقذهم من غيهم بأخذه القصاص من أبيهم

كانت لهم فيما مضا عوائد أزالها يعقوب ذاك الماجد

واليوم لايأتون أمرا مرتبك والناس في الدنيا على دين الملك

هداهم يعقوب للرشاد وللهدا والمجد والجهاد

فجمعوا الدنيا به والآخره وعزة في كل أرض ظاهره

أما الوفاء فهو أوفى من ترا يخاف فيه من يرا ولا يرا

لما غدا بعد أخيه مالكا وكان في دولته مشاركا

وكل نجد من مرين عنده يعطيهم احسانه ورفده

وكل خلق منهم يحبه وعنده فؤاده ولبه

لاقا أمورا جمة بابن أخيه لما غدا مطالبا ملك أبيه

لاقا به الأهوال يوم البرج لكن ربي للتقى ينجي

سلمه رب الورى من كيده من بعد ما قد كان أحد أيده

أنقذه الله من المحنون انقاذه من غمه ذا النون

فمر من فاس بمن قد فازا مع بنيه قاصدا لتازا

والسعد يدعوه: لك الإياب صبرا, لكل أجل كتاب

ما زالت الأيام تدني سعده حتى أرته في الجميع قصده

فنال ما قد ناله أخوه عفوا وكل بلدة تدعوه

فأمن الغرب من الفساد وانشر العدل على البلاد

ولم يدع في الأرض من يجور وزالت الأهوال والفجور

ورجعت مرين تحت قهره قد أذعنت لنهيه وأمره

فعاد كل ثائر يخشاه مخافة للجيش أن يغشاه

وكان في مراكش خاطره وسعده فيما يرا حاضره

فكان يخشى من ظباه المرتضا   لما رآه لم ينل منه الرضا

ولم يزل يبعث بالهدايا   خوفا من أن يلقا به المنايا

وأن يقل خلق له: هذا خور   يقال له: ليس العيان كالخبر

ولم يزل يعقوب في كل ربيع   يقرب بالجيش الى الربيع

حتى انقضا صلحهم وكانا   في عام ذي الرجلين أمر بانا

في عام تسعة وخمسين جرت   بادت عليها جشم وانكسرت

كانت بها ما بينهم حرب بسوس   ويومهم يوم التقوا يوم عبوس

فرت بها الأعراب عن أموالها   خائفة في الحرب من أبطالها

وولت العرب ومن قد قادها   وخيب الله لها اعتقادها

ورجعوا منهزمين لعمر   وهذه أدها عليه وأمر

وكان لم يترك فتا بحضرته   ولا جليسا مؤنسا من عشرته

أقام في مراكش بنفسه   محاذرا منهم حلول رمسه

فعاد كل من أتا صفر اليدين والعرب ساقت نحوه خفي حنين

في عام ستمئة وستين سار لمراكش سلطان مرين

ووقف المنصور في كليز مبرزا بأحسن التبريز

وعاد فيها المرتضا محصورا ذا أرق في قصره مقصورا

ودارت الأعراب في الأسوار واعتمدوا فيها على الحصار

وكان فيها سائر الأعراب وتحتهم سوابق العراب

واشتدت الحروب في المخالص فما ترا غير الزعيم الخالص

فمات فيها ولد المنصور عبد الاله والندا المشهور

يارب قدس في الجنان روحه عفوا وبرد في الثرا ضريحه

فعاد يعقوب وما لاقا الوطر ولم ينل من قصده غير النظر

ولم يزل في أمرها يفكر وكل يوم حيلة يدبر

فجاءه من بعدها ادريس ذاك الذي قد غره ابليس

يطلب منه عسكرا جرارا يبيد منه المرتضا جهارا

عاهده يعقوب بالعهود مؤكدا لأوثق العقود

أطعمه المنصور ثم أطعمه بيده مؤكدا ما ألزمه

بأنه ان نال ما يرضيه من عمر فنصفه يعطيه

فسار من فاس بجمع وافر وبالطبول عنه والأوامر

فحل في هسكورة بناسه والمرتضا مكثرت من باسه

قال له وزير تلك الدولة: لاتخش يا مولاي منه صولة

وكان ذا حرص على هلاكه فاحتال حتى صار في أشراكه

فوجه الكتب الى ادريس في السر بادر حضرة النحيس

فجنده في أرضه فرقته فاسرع الى علياه هذا وقته

وهذه أيضا كما ذكرنا من حيل الناس كما فسرنا

والملك الحازم ذو الثبات يقيس ما مر بما سيأتي

فجاء ادريس لها بجد ففاز حين جاءها بالسعد

فحل في مراكش العليه وذاق منه عمر المنيه

في عام خمسة وستين أبيد وذاق ما ذاق السعيد في الصعيد

فصار في مراكش ادريس ولم يقدر أنه دريس

فقال جهلا لن تبيد هذه وظن أن المنع في ملاذه

فنقض الميثاق والعهودا وجحد الأيمان والعقودا

فسار يعقوب له من عامه والسعد لم يبلغ مدا أيامه

فلم يدع في أرضه زروعا ومات من فيها بذاك جوعا

وذاق ادريس الدريس شده وارتقب الحصر شهورا عده

فرجع المنصور عنها بعدما أفنا الزروع والذي حول الحما

لم يستطب حلاوة البلاغ حتى مضى قصدا الى تلاغ

سببها أن أبا دبوس لما أتته كثرة النحوس

وأن يعقوب بن عبد الحق لابد أن يأخذه بالحق

وأنه بالحصر لا يتركه حتى يوفي العهد أو يهلكه

رأى بأن يكون مع يغمور عونا على يعقوبنا المنصور

لكي يرا في الدهر يوما أمنا فكان ذا حين ينادي حينا

فنقض الصلح بذا التدبير فكان فيه غاية التدمير

فعاد يعقوب بن عبد الحق من حينه قصدا لهم في الشرق

ولم يزل يطوي له المراحل من بعد ما قاد له القنابل

وجاءه بالعيس والقباب معدة للطعن والضراب

والخيل تردي حولها وتردا تهدي الى خير حمى وتهدا

وجاء يغمور بجيش مثله مبادرا لحربه وختله

ثم التقى الجمعان في تلاغ وجيش ذا الجيش ذا يناغي

فجاءت الأبطال للأبطال واختلط الأمثال بالأمثال

وجاءت القباب للقباب وأقبل الركاب للركاب

ومر قصدا موكب لموكب وحف منها مركب بمركب

كأنهم جاءوا الى السلام لا للوغا والضرب والاقدام

ثم تهادوا بينهم خطبه بئس السلام بئست الهديه

فما ترا الخيول ترمح وأهلها الى اللقاء تطمح

ملحمة أعظم بها من ملحمه حتى أصيب نجل يغمور عمر

وكان أمضا من أبيه في الوغا ولم يزل يقرأ وأما من طغى

فولت الأدبار عبد الوادي وذاقت الحمام عند الوادي

ولم يزل يعقوب في أعقابهم وبتره تغمد في رقابهم

وانتهب الناس جميع الحله وجاءهم عذاب يوم الظله

وما رأوا بعد تلاغ أملا ولا منى ولا غنى ولا ....ولا

أما ابن زيان رأى البلايا حتى دعا منها أبا الرزايا

فقر خوفا لتلمسان وقد حاز الخسار والدمار وفقد

ولم يزل في غمه وحزنه مختلطا في عقله وذهنه

لم ترتفع من بعدها أعلامه ولا انقضت من يومها آلامه

وحزنه على ابنه مجدد وشمله مفرق مبدد

فعاد يعقوب الرضا منصورا مؤيدا مظفرا مسرورا

ذا حنق على أبي دبوس حتى يفوز منه بالنحوس

في عام ستة وستين سرا قصدا الى مراكش أم القرا

ولم يزل يجد في المسير والسعد قد أدناه بالتيسير

حتى أتا أم الربيع قاصدا ويسر الله له المقاصدا

أقام في أرجاء تلك الحضره يقاتل المرة بعد المره

فلم يدع شيئا لدا أنحائها وسالت الأبطال في بطحائها

وكان ادريس الدريس يحرص على لقاء حربه لو يخلص

فغره من غره كم تقعد أخرج عسى يعقوب عنا يبعد

فانه قد فر نصف جيشه فوافق القول وصول طيشه

فاغتر ادريس الدريس وأتا الى الطعان والضراب وعتا

فكر يعقوب وعاد راجعا وصار ادريس بذاك طامعا

وهذه من حيل الحروب يحسبها الجاهل كالهروب

فلم يزل بجهله يتبعه وهو بتجديد السرا يطعمه

وان يدع يعقوب أرضا ورحل جاء الشقي وسطها ثم نزل

وصار للآثار جهلا يقفو حتى أتا لحينه ود غفو

هناك قد حقت له الحقائق وارتفعت بأسرها الخارق

وجاءه مالم يكن يحتسب وصار خوفا رأيه يضطرب

ثم تدانوا والتقا الجمعان وأقبلت مرين كالعقبان

محيطة بعسكر الشقي وعاد منها نشره للطي

لما رأى ادريس ما حل به فر لكي يفوت في موكبه

فأدركته الضمر السوابق وكل ليث نحوه يسابق

فذاق بالرماح موتا أحمرا وخر تحت طرفه فوق الثرا

كأنه ما كان قدما ملكه لما أتا على ود عفو هلكه

ووقف المنصور عند مصرعه معتبرا بموته ومضجعه

فذاق ماقد ذاق منه المرتضا سبحان من بذا عليهم قد قضا

فسيق قصدا رأسه لفاس واعتبرت به جميع الناس

وانتهبت حلته بأسرها بما أكنت نفسه من غدرها

فكان ذاك غرة المحرم وقتله ونهبه لم يحرم

في تاسع الشهر حوا المنصور مراكشا وحلها السرور

فدخل المنصور تلك الحضره واحتل في يوم سعيد قصره

عام ثمان بعد ستين غدت مراكش في ملكه واعتمدت

واكتمل الملك الى يعقوب وفاز بالمقصود والمرغوب

وانتظمت في سلكه البلاد لاثورة تخشا ولا فساد

وكثر الأمن بها والعدل وطاب فيها فرعها والاصل

ووجه المنصور عبد الواحد للسوس يفني كل طاغ مارد

فأقبلت طوعا له القبائل وقربت بسعده المسائل

كان ليعقوب ولي عهده مرشحا لملكه من بعده

في قصر فاس مات في شهر صفر وسكن التراب في الحادي عشر

فخرج المنصور يبغي ردعه لعسكر كان بها في منعه

يخرب البلاد والحصونا ولم يدع ملقى ولا مصونا

ووجدت لرأيها الغربان فيها فباد أهلها وبانوا

فأمن المنصور لرأيها الغربان فيها فباد أهلها وبانو

ورجع المنصور في أقرب حين آخر عام تسعة وستين

فعاد من درعة المنصور وقصده في دهره يغمور

في عام سبعين مشى اليه مجددا همومه عليه

فجد من مراكش العليه بجلة وافرة بهيه

حتى أتى قصدا لوادي ملويه وخلفه طبوله والالويه

وكان قد خلف عبد الواحد في الحضرة العليا بكل ماجد

يقدم الاعراب والجنودا ويقدم الابطال والاسودا

ثم التقت جموعهم بتامه وابصر الأعداء منهم طامه

فقدروا عشرين ألف فارس من كل ليث للبيوت فارس

فأجمع الرأي على أن يرحلا الى تلمسان وان لا يمهلا

فقالت الأشياخ والعربان دعنا نسر في الصلح يا سلطان

فقال يعقوب اجهدوا في الصلح وان أبا فأسرعوا للنجح

أما رأيتم رسل ابن الاحمر ترغب مني نصرة بعسكر

فالفنش قد أضر بالاسلام حتى غدا الاسلام ذا استسلام

فمرت الأشياخ من كل قبيل فكلموا يغمور بالقول الجميل

فقال لا صلح لدينا يعتبر حتى يقوم بعد ما مات عمر

(انك لاتهدي من أحببت) فلا تأس على من كان عقباه البلا

فأسرع المنصور في المسير وداعيا الله في التيسير

فخرج المنصور يوم الكائنه يرتاد أرضا تحتوي مساكنه

وخرجت مرين للصياده وبعضهم محقق طراده

وكان يغمور أتاهم قصدا لغرة كان استعدا

ثم التقا الجمعان عند يسلي وهكذا عاينت لاما قيل لي

فاضطرمت نار الوغا واشتعلت وشمرت أبطالها واعتدلت

فرتب المنصور عبد الواحد على اليمين قاصدا للقاصد

ويوسف رتب في اليسار ومنه صار الجيش في اليسار

أول من سن الصفوف يوسف   بنجدة مثالها لا يعرف

وبعده بادر عبد الواحد   والألف ان جاءت له كواحد

ودفع للمنصور ما بينهما   بساقة قاصدة أينهما

رأى ابن زيان هناك مشهدا   بمثله في دهره لن يعهدا

لو لم يفر أيضا على جواده   مفتديا بالبعض من أولاده

لعاد نهبا في الوغا مقسما   ولو أتا الى السماء سلما

ولى وخلى فارسا مثل عمر   حج بذاك وبذا قد اعتمر

فحكمت في جنده السيوف   وجاءت الروم بها الحتوف

أفنتهم مرين بالصعاد   وقتلهم من أعظم الجهاد

فجدلوهم في صعيد واحد   ومابقي في الأمر غير القائد

ومات من فرسان عبد الوادي   خلق كثير عند شط الوادي

فعاد يغمور الى مقامه   وأضرم النيران في خيامه

وكان ذاك الأمر فيها بيده غيظا وذا من نحسه وحسده

وحل في بلدته ملهوفا كالشمس لاكن ألف الكسوفا

وانتهب الناس الذي أصابوا وليس فيهم رجل مصاب

وعاد يعقوب الرضا مستبشرا والله قد أيده ونصره

فارتحل المنصور نحو وجده لكي يزيد حزنه ووجده

فجعلوا عاليها سافلها حتى غدا خارجها داخلها

ولم يزل يجول في بلاده لايمنع المفسد من افساده

الى تلمسان دنا المنصور ولم يصد الناس الا السور

فجاءه قصدا أبو زيان بساقة وافرة الفرسان

من أرض وانشريس قد أتاه وكان في لقائه مناه

فجاء بالبنود والطبول محتفلا لساعة الوصول

وركب المنصور في أبطاله يوم أتا في أحسن احتفاله

واحتفلت جنوده بأسرها   فحارس أبصرها في أمرها

واديهم ظم على القرى   كأنما تجين في طوى

فاختلطت تجين في مرين   كأنها لم تك باليقين

ثم التقا يعقوب مع محمد   وحبهم بمثله لم يشهد

كأنهم في حالهم اخوان   ولم تغير ودهم أزمان

فمات يغمور بذاك أسفا   وود أنه به قد خسفا

فأجمع الرأي على حصاره   ويسكن الجميع في أقطاره

وان أتا خلق الى الصفاصف   جاءته فرسان بريح عاصف

فاجتهدت في ضره تجين   وفعلوا ما قد أبت مرين

فقطعوا الثمار والجنانا   ولا أروا ودا ولا حنانا

لأنهم بينهم غوائل   لم ترها ما بينها قبائل

رأت تلمسان بهم أضرارا   وغيرها لاقا بهم اعصارا

ولم تدع في القطر قوت يوم للخارج يخرج غير الدوم

وكان يغمور اليهم يقصد لكنه عن سوره لايبعد

ولم يفارق سوره وبابه وأبعد الله له آرابه

فحين لم يترك له المنصور شيئا له في نفسه تأثير

وادع في الحين أبا زيان وسار للشرق بلا توان

ثم أقام بعده المنصور خوفا من أن يدركه يغمور

حتى رآه حل مقامه بكل ما أعطاه من انعامه

حينئذ أقلع عن يغمور لغربه في أطيب السرور

فجاء فاسا غرة المحرم مؤيدا بجيشه العرمرم

أول عام واحد وسبعين وكان ذو العرش له خير معين

فلم تكن في العام ذا وقيعه الا أمور جمة فظيعه

موت ابنه الهمام عبد الواحد أعظم به من مالك وماجد

وكان للملك هو المدير وما بدا فيه له تقصير

ما ذا رأى المنصور يوم موته وما لقى في الدهر بعد فوته

لأنه بر بوالديه وجائد بكل ما لديه

يا ربنا وسع عليه في الثرا والطف به يا من يرا ولا يرا

فسار من فاس يؤم الحضره وقلبه بين ضنا وحسره

فحل في حضرته العليه مراكش وخففت الرزيه

وزالت الأدران منه عن دن ولم يدع في ذلك القطر درن

وازدادت الأرض به جمالا وأصلح الله له الأحوالا

فحيثما كان تكون البركة كانت له اقامه أو حركة

ولم يزل في غبطة وبهجه فيها الى أن سار نحو طنجه

فارتحل المنصور من حضرته حتى أتا طنجة في عترته

هي التي للعدوتين أصل ومن جهاد الروم ليس تخلو

منها أتى للغزو قدما طارق وغيره وقتل البطارق

وافتتح البلاد والحصونا ولم يدع في أرضهم مصونا

وأمرهم في قتله مشهور وهكذا قد عزم المنصور

فشدد الحصر عليها أشهرا فيسر القصد له رب الورا

وكان يوم أخذها قد عولا على الرحيل اذ نأى ملاملا

فقام في برج بأعلا الباب قوم هم للفتح كالأسباب

فملك البرج قريب العصر فلم يطيقوا فتحه للفجر

سنة ثنتين وسبعين نجحت بأخذ يعقوب لها وابتهجت

واستبشر الاسلام يوم فتحها وأيقنت أنصاره بنجحها

كذا سجلماسة أيضا بعدها أخذها حين أراد بعدها

بعد حصار أشهر كطنجه وكل يوم وجهة وضجه

كان المنبات بها تمنعوا وأصلوا أمورهم وفرعوا

وكان يغمور لها يوجه أولاده للخفر أو ما يشبه

فحاصر المنصور تلك البلده وذاقت الأعراب فيها شده

وكلهم يجهر بالقبيح ولم يخف عاقبة التصريح

فنصب المجانيق المنصور فهتك البرج بها والسور

فدخلت سيفا على عبد الملك وكل ما كان بها منهم ملك

فمات فيها جيش عبد الواد وكل مشهور من الأنجاد

وقتل الأعراب شر قتله وصلبوا خزيا لهم ومثله

ثالث يوم ربيع الأول تاريخه وأمره لم يجهل

عام ثلاث بعد سبعين فنوا وفارق القبلة قوم قد عنوا

فرجع المنصور عنها بعدما قدم فيها من حما ذاك الحما

ولم يزل في قصده الجهاد له الى لقائه اجتهاد

عاقته عن لقائه عوائق صدته لما حقت الحقائق

كم مرة رام الجهاد فرجع لما رأى عداته تبغي الخدع

ولم يزل يدعو به ابن الأحمر لن ينصر الاسلام ان لم تنصر

وكل يوم منه تأتي كتبه انصر بها الاسلام ضاع حزبه

وكان ذا حرص على لقائه لما رأى في الجفر من أنبائه

قال له أبوه يا بني اخدم على يعقوب الولي

فانه ينصر هذي العدوه فاجتمعوا واتخذوه قدوه

فجيشه يفني جيوش الكفر ويستبيهم بالظبا والسمر

فامنحه ما شاء من البلاد وجئه بالطارف والتلاد

فلم يجئ ولم يبن جوازه حينئذ قضى انجازه

لما غدت ملكا اليه طنجه كانت عليه للجهاد حجه

فخشي الأمور أن تطولا فجهز الغزاة والأسطولا

وصالح الفقيه خير صلح وصلحه للدين داعي الفتح

على التقا والبر قد تعاونوا وضجت الروم بما قد عاينوا

فجهز الفقيه للجواز قطائعا للبحر في المجاز

ولم يقصر في الذي قد صنعا دنياه والأخرى به قد جمعا

لما أراد الله نصر الدين بالفتية الأنجاد من مرين

قلب قلب المتقي يعقوب لما أراد الله في الغيوب

سبحان من يقلب القلوبا ويذهب الغموم والكروبا

فوجه المنصور للجهاد منديله في أجهد اجتهاد

وجهه في عسكر من فاس الى طريف مشغلا للباس

عام ثلاثة وسبعين سنه من بعد ستمئة ممكنه

فجاز من قصر الجواز لطريف وكان في دخوله أمر طريف

فعندما قد جاوز الأسيره واكتسحوا ما كان في البحيره

من بقر وغنم كثيره وكان في عصابة يسيره

ولم يزل يواصل السرايا وذاقت الروم به المنايا

على شريش وعلى المدينه حتى غدوا في حالة مهينه

لم يتركوا زرعا ولا ثمارا وزاد ذاك للعدا تبارا

وغنموا الأموال والعلوجا ولم يطق جيش لهم خروجا

فنزل المنصور في قصر المجاز في أثر منديل حريصا للجواز

في كل يوم يعرض الأبطالا ويبذل الخيول والأموالا

بعض على جواره حريص وبعضهم مكتئب عويص

ووجه المنصور لابن زيان حفيده قصدا الى تلمسان

فانعقد الصلح على المراد ويسر الرحمان في الجهاد

جاز أبو يوسف لم يعلم بشر وكان في آخر يوم من صفر

سنة أربع وسبعين بدا للناس في أندلس بدر الهدا

فيا لها من ساعة سعيده وليلة عظيمة رشيده

فجد للجزيرة الخضراء والدين في السرور والسراء

واستبشر الاسلام بالتمكين لما رأى جيش بني مرين

ثم التقا المنصور بابن الأحمر في عسكر قد فاق كل عسكر

ونظم الرحمان شمل الدين وحل شمل الكفر في سجين

ووجد المنصور بين الأندلس شحناء لايذهبها طب ندس

بين ابن نصر وابن أشقليوله كل يرا عن عدله عدوله

هو الذي قد جرأ الكفارا عليهم حتى لقوا خسارا

فأصلح المنصور ما بينهما وأذهب الله به شينهما

سار وما سلم حتى ودعا وحل في غرناطة فيما ادعا

وارتحل المنصور في اجتهاد وماله شغل سوا الجهاد

لم تستطب جفونه مناما ولم يذق شربا ولا طعاما

حتى أتا قصدا الى الوادي الكبير مخافة أن يأتي الرم النذير

فانتشرت في أرضه الخيول كأنها في حربها سيول

فغنموا ما حوله من النعم وما حوا من بقر ومن غنم

ووصل الناس الى الحدور وبعضهم عن أبعد لم يقصر

وقتلوا العلوج في قراه قتلا ذريعا وسبوا حماه

ووجدوا بلمة دار خصبهم وهي محل رزقهم وكسبهم

فاحتمل الناس الذي أرادوا وما بقي شتته الفساد

واشتعلت نيرانهم في الأفق فعادت الدنيا بها كالشفق

واجتمع السبي على شنيل وفاض بالأسلاب فيض النيل

وانتشرت مثل الجراد المنتشر كأن كل نعم مات حشر

فارتحل الناس بها في الصبح وكان ذاك اليوم يوم الفتح

حتى أتوا بها قريب آسجه وكانت الأعلاج منها خارجه

لم يشعروا حتى رأوا ألوفا من النصارا حولها صفوفا

وكان دننه هو المقدم وهو زعيم عندهم معظم

به النصارا نصروا زمانا وان رأوه رأوا الأمانا

جاء بجمع من عظيم الروم في طالع عليهم مشؤوم

قدمه الفنش على بلاده ليمنع المفسد من افساده

وكان في أعقابنا يعقوب يحرسنا من عسكر يصوب

فجاءه وهو بشنيل الخبر: الروم جاءت زمرا بعد زمر

وظهرت على الربا العلوج تخالها كالبحر اذ يموج

قد لبسوا للحرب أسنا عده وما أطعنا للعلوج عده

فعندما سمعها المنصور قام ولم يكن به تقصير

دعا دعا النبي للصحابه: يا رب سلم هذه العصابه

فانها عصابة الاسلام وهي التي تسبي علا الاصنام

فقبل الرحمان منه دعوته ونال في ذاك المكان بغيته

فقال يعني قومه وجنده: يومكم يوم له ما بعده

ان الجنان فتحت أبوابها وقد دعت أترابها أترابها

من مات منكم شهيدا أو عاش عاش غانما سعيدا

ألا اصبروا وصابروا ورابطوا فخيركم مجاهد مرابط

فأحرقت جيوشه بالروم واعتصموا بالملك القيوم

والسمر تهوي كالشهاب الثاقب على النصارا بالعذاب الواصب

والبتر من فيض الدماء ترعف وهامهم من كل وجه تخطف

حفت بهم مرين كالآساد جاءت الى أصاغر النقاد

فلم يكن الا كلمح بالبصر وما يجيء فيهم من الخبر

كأنهم ليل اذا ما أدبرا وجمعنا صبح اذا ما أسفرا

فما بقي بالسيف منهم باقيه ولم تق الجميع منهم راقيه

ومات دننه وباد اذ ظهر وعجل الله به الى سقر

يا وقعة لم تبق للنصارا جمعا ولا عزا ولا انتصارا

تسعة آلاف من الكفار في ساعة الى الدمار

ومات منا واحد للألف كم بين صف في الوغا وصف

قد أيدوا لاشك بالملائكة في العد لا في قتلهم مشاركة

في النصف من شهر ربيع الأول قد شتتوا كلا بحد الفيصل

شهر ربيع سعده سني لم لا وفيه ولد النبي؟

كذا ربيع أبدا مبارك فيه الفتوح لم تزل تدارك

والله لا أبصر حر النار من جال ذاك اليوم في الكفار

قال الرسول الحق وهو قائله: لم يجتمع علج بها وقاتله

طوبا لمن قد كثر السوادا لو لم يجئ طعنا ولا طرادا

ان الجهاد أجره كبير وقدره لأهله خطير

من مات فيه فهو حي يرزق فهذه مرتبة لا تلحق

فهكذا تغزى جموع الروم يا أيها الركب على الديموم

يا غزوة أعلت علا الاسلام قد أشبهت غزو فتوح الشام

من ذلك العهد الذي قد سلفا ما رأيت الكفار منها خلفا

فشكر الله الأمير شكرا وزاده في الصالحين ذكرا

فوجه المنصور لابن الأحمر برأس دننه زعيم العسكر

لكي يرى ما فعل الرحمان بمن أتا تنصره الصلبان

فجعل المسك مكان العشير وضمخوه بالكبا والعنبر

ووجه الرأس الى الكفار وهذه من أعظم الاسرار

فقدم المنصور للجزيره مغانما ونعما كثيره

مئة ألف أو تزيد أكثرا بقول من قلل لا من كثرا

أما دروع الروم والأسلاب والخيل والبغال والأسباب

فذاك شيء حار فيه الوصف ولد فيه الفعل لولا العطف

فدخل المنصور للخضراء   في غاية الأفراح والسراء

في سابع العشرين من شهر ربيع   ونظم الله بها شمل الجميع

أقام حتى قسم المغانما   وفرق السوابق الصلادما

وبيعت الأعلاج والأسلاب   والخيل والبغال والأسباب

وأخذ القوي والضعيف   نصيبه والعبد والشريف

ثم استراح سائر الفرسان   في دورهم شهر ربيع الثاني

فخرج المنصور في جمادا   وسيره للغزو قد تمادا

فأم اشبيلية بالجنود   والدهر قد حاباه بالسعود

فجالت الخيول في أقطارها   وغنموا ما كان في أنظارها

وضربت على الربا الطبول   وانتشرت في أرضها الخيول

لم يستطع علج ولا بطريق   خروجه وماله طريق

فأبصرت اشبيلية أسودا   تمنع كل الأسد أن تسودا

فكم لها ترقب ذاك الموعدا وترتجي بأن يدوم أبدا

والنصر يدعوها ابشري وبشري لابد أيضا من رجوع العسكر

ينزل بين شرف ورحمة ثم يعود برضا ورحمة

فارتحلوا عن مائها المفروش وأقبلوا قصدا الى شريش

فأعرض المنصور عنها صفحا لما رأى الكفار راموا الصلحا

فرجع المنصور للخضراء وكان حان زمن الشتاء

ما زال في وادي النساء قاطنا هذا الشتاء لم يزر مواطنا

فقنط الروم به في المكث لأنهم لم يخرجوا للحرث

وجاز عنه عامة الفرسان وقلقوا للأهل والأوطان

فجاز لما رأى ذاك وجب في عشرة مرت ويوم من رجب

وأصلح الغرب وطاف فيه ثم أزال كل ما يوذيه

واستنفر الناس الى الجهاد فلم يجب خلق الى الرشاد

عشرين شهرا هكذا أقاما لم يستطب في حضرة مقاما

لم يشتغل باللهو والقصور ولم يزر كواعبا كالحور

فحرض الناس الذي استطاعا وكلهم رشاده أضاعا

لما رآهم ليس فيهم رشد كان له الى الجهاد جد

فجاء للغزو أمير المسلمين أول عام سبعة وسبعين

فجاز أيضا للجهاد في صفر ثانية لكي يبيد من كفر

بكل ذي النجدة من أبطاله وسعده في الغزو في اقباله

فجاء اشبيلية في ربيع شهر النبي المصطفا الشفيع

في أرض اشبيلية جاء المولد فانتصروا بسعده وأيدوا

بورك من شهر له سعود وحيثما عاد له تعود

فوقف العلوج حول الوادي في عدة منهم وفي استعداد

فما نرا الا الدروع السابغه يعجز عن أوصافهن النابغه

وكل عضب باتر وسمهري وجوش وبيضة ومغفر

شعاعها يذهب بالأبصار وحسنها جل عن الأفكار

فعندما رأت مرين الكفره عاد الجبان منهم كعنتره

والروم صارت حمرا مستنفره ذاهلة فرت أمام قسوره

فرفعت كتائب المنصور فظفرت بالسعد والظهور

ولم يقتصر يوسف في الحرب بسيفه ذاقوا أجل الكرب

من مر من سيوفه الحداد حلت به المنون وسط الوادي

ماتت هناك منهم ألوف وفرقت من حينها الصفوف

يا شدة قد عاينتها الروم في الماء صرنا خلفهم نعوم

وعاد من فيض الدماء الوادي أحمر بعد لونه المعتاد

فمزقت جموعهم تمزيقا وفرقوا بأسرهم تفريقا

ودخلت سيفا حصون تذكر منها قطنيينتهم لو تعمر

أما القرا والدور والمجاشر فما بقي للروم فيها عامر

ماذا رأت اشبيلية العليه من كافر حلت به المنيه

وظفر الاسلام فيها وظهر وصار دين الله شمسا فاشتهر

في ذلك اليوم تأييدا فقيدت تاريخه تقييدا

وأيقنت بكل عز وشرف لما رأت خيولنا فوق الشرف

وضربت على حماها الأخبيه وانتشرت على رباها الألويه

يا حسن ذا لو أنه قد داما على النصارا في حماهم عاما

لكنه لكل شيء أمد والله يهدي للهدا ويرشد

فرجع المنصور منها سالما مؤيدا وظافرا وغانما

وسيقت الأسلاب والغنائم حتى اختفت ببعضها التهائم

فقسم الجميع في الجزيره وحل فيها مدة يسيره

فسار للغزو بلا توان الى شريش في ربيع الثاني

ليفسد الأثمار والأعنابا ولينيق أهلها عذابا

فافسد المنصور فيها بيده على جوادي راكبا مع ولده

فعندما أبصرهم من أبصرا لم يستطع من أمرهم أن يقصرا

فاجتهدوا في القطع والفساد وفعلهم من أحسن الرشاد

خاوية عادت على عروشها وضجت الكفار من شريشها

لأنهم غدوا بها في غمرات من قلة الزرع ونقص الثمرات

وهذه من أعظم النهاية في محنة الكفار والنكاية

فانقلبوا بنعمة من ربهم والنصر حف حزبه بحزبهم

من بعد ما قد وجه السرية حتى أتت اشبيلية ضحية

فرجع المنصور من غزاته بكل ذي النجدة من غزاته

لما رأى اشبيلية المنصور خالية ما حولها معمور

وأنها قرطبة عمدتها تغيثها مهما تكن شدتها

فقال يا مرين: ان قرطبه منها أرى أقواتهم مرتبه

فان نزلناها فنوا بالجوع في أرضهم وقلة الهجوع

فوجه الكتب من الخضراء الى ابن نصر ملك الحمراء

قال له ان شئت أن تسيرا معي لغزو فاسرع المسيرا

لتعرف الحصون والبلدانا وتبصر الطريق حيث كانا

وان رأتك في قراها الروم هابتك ما عشت فلن يروموا

حتى يقال ان في أندلس فوارسا كالصبح أثر الغلس

وكان قد خاف من المنصور ما قد أتت عنه من الأمور

جرت بها ما بينهم حساد فخيب الله الذي أرادوا

ثم التقوا في الغزوة الميمونه واجتمع الكل بأرشذونه

فأصلح الله بها القلوبا وبلغوا المقصود والمطلوبا

فأخذوا حصن بني بشير وكان بالفتوح كالبشير

فجمعوا حينئذ أعلاجه لأرضهم وهدموا أبراجه

ولم يزالوا في بلاد الكفره وكل من والى مكانا دمره

ووجد الناس بها الأرزاقا وكلهم يحمل ما أطاقا

ما شئت من قمح ومن شعير وبقر وغنم وعير

ومن دجاج واوز وحمام ومن دقيق وزقاق وادام

وكثرت خيرات أهل الجيش رغما على أنف اللعين الفنش

فبرزوا على أعالي قرطبه بعسكر وساقة مرتبه

وكانت الروم عليها خندقت ويسرت قسيها وفرقت

فزحفت بنو مرين للعدا وخلفوا أندلسا على الكدا

قد وقفوا في ساقة المنصور خوفا لما يحدث من أمور

وجازت الخيل الى الزهراء وغنمت في سائر الأنحاء

ولم يطق جيش على الخروج واعتصموا بالسور والبروج

وأبصر الكفار خيل الله   قد خالفت ظن العدو اللاهي

واعتبرت بجنده اعتبارا   وزادهم جمالها تبارا

لما رآهم كالنسا الأرامل   فخربوها وأتوا أرجونه

وجالت الخيل الى جيان   وانتشرت في سائر البلدان

والناس في وسط بلاد الفنش   في هدنة راقت وخير عيش

فجاءت الرهبان والأحبار   بحيلة في الصلح كي يجاروا

فطلبوا الصلح من ابن الأحمر   مؤيدا على توالي الأعصر

وأقسموا ان لم يرده الفنش   فنحن للدين الحنيف جيش

لأنه لم ينصر الصلبانا   ولا حما الثغور والبلدانا

خلفنا نهبا سنين عددا   ولم تدع منا العوالي أحدا

ثم أتا ابن الأحمر المنصورا   وكان هذا قدر الرحمان

لو لم يكن يعقد هذا الصلح   لم يك عيش للعدا ونجح

وإنما الأمر لربي وحده فهو الذي ينجز فيهم وعده

فرجعوا بجمعهم من قرطبه وقد أذاقوا الروم شر مسغبه

والله قد أيدهم بنصره ويمنه وعضده ويسره

وكلهم بأجره على يقين والله لايضيع أجر المحسنين

جنودهم على الأعادي ظاهره وكان ذاك في جمادى الآخره

فدخل ابن نصر الحمراء وأم يعقوب بنا الخضراء

من بعدما حاباه بالغنيمه يعقوب ذو المواهب الجسيمه

مازال في أحوازها مريضا لم يستطع لغارة نهوضا

سبعين يوما قد توالى سقمه وكل يوم جاء قيل يومه

فجاز عنه يوسف بالأمر وكان ذاك يوم عيد الفطر

وكان قد شاع بأرض الغرب بأنه قد حل وسط الترب

فارتجت الأرض بذاك الخبر فهدن الغرب ابنه في الأثر

فجاءه رسل ابن أشقليوله   يرغب في مالقة دخوله

قال له بلفظه اختصارا   ان لم تصل تعط الى النصارا

فنحن نرضا الدهر بالتنصر   ولا نرا في حوزها ابن الأحمر

وكم وكم أفنوا على ذي البلده   من بلد وكم مضت من عده

هي التي حطت على الاسلام   ورفعت ضلالة الأصنام

وهي كذاك لانقضاء الدهر   مذمومة تنتج كل شر

فخشي المنصور هذي الحالا   من فعلهم فأسرع الترحالا

فحل في محلها المنصور   وكان في دخولها أمور

تركتها مخافة التطويل   وكثرة القال لها والقيل

أقام شهرين ونصفا فيها   قد زهيت وزادت تيها

فمر عنها قاصدا للغرب   ومرضيا بفعله للرب

لكي يرا ما فعلت بلاده ومن بدا في موضع فساده

من بعد ما رتب ألف فارس من كل نجد بطل ممارس

وكل نجد حاله مرتبه وعمر أسكنه في القصبه

فجال في بلاده بأسرها والقصد في أندلس وأمرها

فحقق الكفار أن قد جازا لغربه فقطعوا المجازا

ونقضوا الصلح الذي قد كانا وما رعوا عهدا ولا أيمانا

وهذه أهون شيء عندهم فاقوا الذين ينقضون عهدهم

في كل مرة وهم لايتقون وكلهم في الدهر افكا يحلفون

لا عهد يرجا عند من لم يؤمن لا يرقبون ذمة في مؤمن

وجاءت الأخبار أن مالقه قد قام فيها عمر وهو الثقه

وباعها جهلا من ابن الأحمر وجاءنا بنفسه في عسكر

وان ريان الغريب اذ وصل من الجهاد في ثقاف قد حصل

ولم يدع من الجيوش عمر الا الذي في خارج لايحضر

وكل شيء عندهم في مالقه قيده فيها عليه مطلقه

وكل ما وجهه المنصور من ذهب فعنده مقصور

فعندما حققها المنصور قام كأنه مذعور

فسار من مراكش في شوال ليسرع السير لها والترحال

حتى أتا قصدا الى مكول وكان لم يحمل سوى الزمول

ومن عجائب العزيز الجبار تتابع الريح بها والأمطار

فلم يجد خلق بها رحيلا ولم يطق سيرا ولا تحويلا

لم ترتفع بالليل والنهار في أمرها سر من الأسرار

فجاءت الأخبار بابن كانون بأنه في العهد غير مامون

وانه انقادت له سفيان وظهر النفاق والخذلان

فعندما قيلت له القضيه جد لمراكش بالسريه

فقد منه الخائن السفياني وأيقنوا بالذل والحرمان

وكان قد ضمهم نفيس فقال ماقد قاله ابليس

اني بريء منكم وسارا وقصد الأجبال والأوعارا

فأحرق الناس به في الوعر وأخذوا أمواله بالقهر

فحرق البيوت والخياما وترك الأجمال والاغناما

فاستأثرت بماله جدميوه وفر مسعود الى سكسيوه

وقد أبيد ناسه وماله وغيرت من حينها أحواله

وكل عاص غادر مولاه بالذل والحرمان ما أولاه

يقال بشر غادرا بالغدر وخائنا خيانة بالفقر

فأقسم المنصور أن لا يرحلا عنه ولا يزال حتى ينزلا

وكل يوم خبر يأتيه قد ذل دين لم تزل تعليه

وكانت الروم على الجزيره قد عمروا عمارة كثيره

قراقر تتبعها قطائع كأنها في بحرها مصانع

غطت زقاق مجمع البحرين كأنه من عهد ذي القرنين

زادت على ثلاثة من المئين مشحونة بكل خنزير لعين

وقد أعدوا زاد عام كامل وكل ما شاءوه من مآكل

وأظهروا في دينهم حميه حمية في الدهر جاهليه

لم يتركوا من يعبد الأوثانا ولا فتا يعظم الصلبانا

واقسموا لافارقوا الجزيره لو حاربوها أعصرا كثيره

فخيموا في البحر فيها عاما لم يتركوا لهم بها انعاما

برا وبحرا أحدقت بالموضع جموعهم كخاتم في الأصبع

فالبحر برا عاد بالمراكب والبر بحرا عاد بالمواكب

فنصبت عليهم المجانق كأنما صخورها صواعق

وضيقوا بأهلها تضييقا ولم يجد خلق لها طريقا

لولا حمام كان يأتيهم سحر لم يعلموا في العدوتين من خبر

قد أفنيت أرواحهم بالجوع وقلة الأمان والهجوع

لم يرقدوا ليلا ولا نهارا ولم يروا أهلا ولا قرارا

لهم على أبراجهم أنين ودورهم لأهلها حنين

في كل يوم يرقبون أسرهم أو قتلهم وسبيهم وغدرهم

ولا نصير لا ولا مغيث الا النصارا فيهم تعيث

وكل ما لاقوه في الحصار وزر على مسعود الغدار

فإنه قد نغص المنصورا حتى بنوا وأبدوا الأسورا

فالله جازاه بما جزاها بالحصر والحال التي لاقاها

فإنه مسفود لامسعود قد خانه المرغوب والمقصود

لما رأى يوسف ما دهاها عشية توخذ أو ضحاها

وكان قد جاء من أرض القبلة فمر من فاس بغير مهلة

حتى أتا طنجة باجتهاد   بأمر يعقوب أخي الرشاد

فأمر الاسطول بالجهاز   وحضه حضا على البراز

وكتب الكتب الى الفقيه   من طنجة بكل ما يرضيه

أن يسر الأجفان والزواقيا   وكن لما يرضى الالاه سابقا

نادى أبو حاتم الغزاة   جدوا عسى تشتتوا العداة

وتنقدوا الجزيرة الخضراء   فالدين قد لاقا بها ضراء

قد قيل حقا انها معصومه   على النصارا لم تزل مشؤومه

فجهزوا أسطوله المظفرا   وكل من في سبتة ما قصرا

وأقبلت قطائع ابن الأحمر   مشحونة بكل نجد قسور

وظهرت في ديننا حميه   من كل ذي دين من البريه

فأم أسطول الفقيه طنجه   لكي يرى يوسف تلك البهجه

ويوسف أسطوله قد جهزا   فجاء أيضا نحوه وبرزا

والنصر والفتح بها يبوح وصار فيها نيرا يلوح

قد جهزوا بأحسن الجهاز وعولوا قصدا على البراز

وجعل الأمير في أسطوله عصابة بالسمر من قبيله

وكل ذي النجدة من عبدانه وكل من عين من فرسانه

كأنها في بحرها خيول وحيثما شاءت به تجول

عدتها سبعون جفنا كلها لكنها صغارها أقلها

وقطع الروم انتهت في العده الى ثلاثمئة معده

ساروا على اسم الله والرسول وأعلنوا بالذكر في الأسطول

يوم الثلاثا في ربيع الأول من سار فيه للعدا لم يخذل

شهر به تقرب السعاده والنصر والتأييد والاراده

شهر به دين النبي ينصر وسعده وفضله لايحصر

شهر عظيم عودالاسلاما نصرا عزيزا والعدا آلاما

فهذه من معجزات أحمد خير الأنام المصطفا محمد

فيه مضا الأسطول للخضراء وزودته الناس بالدعاء

وابتهلوا للملك العلام خوفا على الأسطول والاسلام

لأنه لو كان فيهم أمر لم يك للدين الحنيف ذكر

فودعوا وودعوا وساروا كل له لدينه انتصار

فانتشرت قلوعهم في البحر كأنها مواكب في البر

قد قدمت أمامها المناطحا وردت الموج لها أباطحا

وقرب الله لها البعيدا وجعل الشهر عليها عيدا

فسكنت بعدها الرياح لكي يطيب الحرب والنطاح

فإنه تعطل القراقر ان سكنت بحارها الزواخر

فقرب الأسطول للاسطول وجاء عرض قاصدا للطول

فعندما أبصرها الملائد قام مروعا خائفا يشتد

وعدد القلوع والأجفانا حتى غشى وغمض الاجفانا

وعد كل كافر كذلكا فأبصروها سدت المسالكا

قالوا جميعا إنها آلاف وليس فيها عندهم خلاف

حينئذ سقط في أيديهم وأيقنوا بأنها ترديهم

فأقبلت قطائع المنصور مصطفة اليهم كالسور

وأقبل الملائد في أسطوله من بعد ما أقسم في انجيله

فما ترا الا السهام الواكفه على النصارا كالغيوث عاكفه

ونفذ الأتراس والدروعا وكلهم غدا بها مروعا

وهم لها قد لبسوا الحديدا وجددوا العدة والعديدا

كأنما سهامنا قضاء لها على أرواحهم مضاء

وكل من منهم له افراط فحده ركيمه أو قاط

فمات منهم عدد لايحصر والبحر فيه قد تفانا الأكثر

تراهم في البحر كالضفاضع   من ساقط وخاسر ودارع

فعندما أبصرت الكفار   قد بزها الفرند والعقار

ولت وخلت أكثر الأجفان   خالية منهم بلا نصراني

ولم يزل أسطولنا الميمون   له على أسطولهم تمكين

يقتلهم قتلا وبعضا يأسر   الا الذي تحت القراقر

وكل من في داخل الخضراء   مستبشر بمصرع الأعداء

قد أيقنوا بالعيش والحياة   من بعد اشراف على الوفاة

كأنهم من الثرا قد خرجوا   وأنشدوا: لكل هم فرج

وجوههم يوم فناء الكفره   (مسفرة ضاحكة مستبشره)

ما أصلح الأمان بعد الذعر   ما أطيب الاثراء بعد الفقر

ما انتفع المرء بغير الصبر   ولا تحصن بمثل الحذر

أبشر بيسر ان أتاك العسر   عاقبة الصبر الجميل النصر

فانظر الى من سكن الخضراء قد بدلت ضراؤه سراء

وفاز بالجهاد والرباط وصار بالحصار ذا اغتباط

ان الظلام بعده يبدو الصباح وكم فساد كان عقباه الصلاح

الدهر لايجري على قياس فسلم الأمر لرب الناس

وكان فيجزيرة الجزيره من النصارا عدة كثيره

فجاءهم من كان في الخضراء وغيرهم من سائر الأنحاء

فمزقوا من حينهم بالبتر ودمروا كمثل أهل البحر

يوم الثلاثا حقه أن يشهرا حتى يرا من كل يوم أظهرا

كذاك يوم الأربعاء بعده فهو الذي أضفا علينا سعده

فيه تفانت جملة القراقر ونوخت في البر كالأباعر

كأنها حفت بها الأجفان فوق ترا وهو لها فصلان

كأنها في بحرها غرانق عكسها في بره شواذنق

ما منهم الا قتيل وأسير ويومهم يومئذ يوم عسير

فاخذ الحلائد مع جماعه أسري وكانوا ضمنوا الشجاعه

كأنهم في بحرهم ما كانوا ولم يكن جفن ولا امكان

وهذه عاقبة الكفار فاعتبروها يا أولى الأبصار

فاحتملت غزاتنا ما اكتسبوا واستلبوا أدراعهم وانتهبوا

وامتلأت أيديهم بالسلب وكلهم صار به ذا نشب

ماذا سبوا فيها من الذخائر جاءت بها التجار في القراقر

أما الثياب والمتاع والعدد فليس يحوي بعض بعضها عدد

فعندما أبصر من في البر من النصارا موت من في البحر

خافوا جميعا أن يجوز يوسف فارتحلوا من حينهم وانصرفوا

فطلبوا النجاة ثم ساروا وكلهم حزنا له خوار

وخلفوا ما جمعوا بأسره لساكني الخضرا بقي بوفره

فخرج الناس من الخضراء   وانتشروا في سائر الأنحاء

من بعد ما طال الحصار عاما   ولم يروا في عامهم انعاما

فوجدوا الدقيق والأثقالا   وجدد الله لهم آمالا

وانتبهوا في الدور ما لا يحصر   كأنه كان لهم يزخر

فهل رأيتم مثل هذا العجب   أو هل سمعتم مثله في الكتب

سبعون جفنا غلبت مئينا   وأخذتها كلها يقينا

سبحان من أيدها تأييدا   وجدد السعد لها تجديدا

يا غزوة أنست لنا دمياطا   وزادت الدين بها اغتباطا

هي التي قد أعلت الاسلاما   فزادت الروم بها استسلاما

فحمد الله العظيم يوسف   على فتوح مثلها لا يعرف

وكتب الكتب الى المنصور   من طنجة بمقتضى الأمور

وكان قد ضيق بالسفياني   بالحصر حتى عاد في حرمان

لما أتاه خبر النصارا وأنهم قد لاقوا الدمارا

فعفر الخد على التراب شكرا لربي الواحد الوهاب

وضربت من حينها الطبول وجالت الأبطال والخيول

وركب المنصور كالشهاب يلاعب الأبطال بالحراب

وكاد من أفراحه يطير ووجهه مستبشر منير

كم طال في ليل التمام همه خوفا على الخضرا وزاد غمه

ولم يطب له بذاك عيش له اليها كل يوم طيش

لكنه نغصه الشقي مسعود المنافق القوي

هذي أمور كلها بسعده لولاه ما فاز ابنه بقصده

فاتصل الأمر الى مسعود بنصر دين أحمد المحمود

فبدلت أفراحه أتراحا وما رجا من أمره سراحا

وقال اذ تهدن المنصور فانه مقتول أو مغدور

فجاز يوسف الى الخضراء في أثر ذاك الفتح والسراء

فضجت الروم بما دهاها وبلغت بالخوف منتهاها

وعزموا أن يخرجوا البلادا ويتركوا الطارف والتلادا

حتى جرت ما بيننا أمور معلومة وأمرها مشهور

أثارها ابليس اللعين فانه بتلك يستعين

دعت الى افساد ذات البين وعوضت بعد الرضا بالبين

بين ابن نصر والأمير يوسف وكلهم في ضره لم يسرف

كل يقول انه مظلوم وعذر كل أحد معلوم

فيوسف الحق المبين يقصد وذاك أيضا كل يوم ينشد

لم يترك ابن حرة زميله حتى يموت أو يرا سبيله

وهذه من عمل الشيطان ومن سعود الفنش والصلبان

فقام فيما بينهم نفاق وكثر التشتيت والشقاق

هذا مراد الله في عباده يفعل ما يشاء في بلاده

لو شاء كانوا أمة واحدة وفئة على الهدا عاضده

فجاء يوسف لأرض الغرب مغاضبا لم يلقه بحرب

من بعد أن صالح النصارا لكي يكونوا معه أنصارا

وانه في الصلح للاسلام لأنه قايسه اللئام

فمر في جد الى أبيه وظن أن فعله يرضيه

ففر عنه لبلاد السوس وضحكه بدل العبوس

فأقسم المنصور لا رآهم في أرضه الا اذا أتاهم

فوادع الروم أبو يعقوب من غير عهد باطل مكذوب

فبقي النفاق عاما كاملا وكان منديل له مواصلا

وانقطعت بالغادر الأسباب وورد أن لم يكن السباب

وعاد يعقوب من أرض نول وأم مراكش بالخيول

لما رأى يعقوبنا المنصور أندلسا ضاقت بها الأمور

وأنها قد بلغت للغايه في الحصر والأضرار والنكايه

وأن من فيها من الخلائق في شدة الحال وسخط الخالق

لأجل ما قد بدلوا وغيروا وأخذوا مالقة وغدروا

وأستلبوا عساكر المنصور وما خشوا عاقبة الأمور

وعاملوا يوسف بالوعيد فعوقبوا بالحصر والتشديد

فقصد المنصور أرض طنجه في رجب حتى تبين الحجه

ويصلح الاسلام خير صلح حتى يرا ما يرتجي من نجح

وتذهب الشحناء والأحقاد من قبل أن يعمها الفساد

ما زال في طنجة وسط القصر مرتقبا ارساله في البحر

فلج في طغيانه ابن الأحمر ولم يرد صلحا له في الأظهر

أرسل من غرناطة أرسالا لم يعلموا معنا ولا مقالا

فأغلظوا في القول للمنصور واختلفوا في مقتضا الامور

لما رأى أن ابن نصر قد أبا وأنه عن صلحه جهلا نبا

وأنه قد غره الغرور بأنه عمرته يغمور

وجه بالمال له في مركب لكي يثير الحرب وسط المغرب

ويمنع المنصور من جوازه وعقدا الصلح على انجازه

وظن جهلا أنه أتاه لكي يبيح بالظبا حماه

فحرض ابن نصر العداة لكي يرا في أرضه النجاة

فجاءت الأخبار للمنصور بصلحه في السر مع يغمور

فوجه الرسل له من ساعته بصلحه القديم أو اضاعته

فحين جاءت رسله لأرضه لم يحتسب في الصلح غير نقضه

فأبرم المنصور أمر العدوه وجاز منزيل لها كالجدوه

فارتحل المنصور في شوال من طنجة للحرب والأهوال

فجاء فاسا غرة المحرم وقصده في الشرق غير مبهم

أول عام تسعة وسبعين من بعد ستمئة من السنين

فوجه الرسل له من فاس ثانية بعلم كل الناس

قال لهم يعقوب عرفوه بما أقول واسمعوا وعوه

قولوا بالله يا يغمور حتى متى لا تنقضي الشرور

وتذهب الشحناء والبغضاء ومن له حق له اعطاء

حتى ترا زناتة مصالحه غادية لغزوها ورائحه

من جاوز الستين في البرايا فقد أتا معترك المنايا

ولى الشباب وانحنا الغصن الرطيب بعد القوام وعلا الرأس المشيب

من شاب شب حرصه والأمل وقل منه علمه والعمل

مالك لا تردك المواعظ وأنت عن نهج الرشاد جاحظ

هلم يا يغمور للجهاد واسرع الى مناهج الرشاد

نلنا من الملك الذي كفانا والدهر لا يبقا به أكفانا

والعمر ولى وانقضت دنيانا آخره نفنيه في أخرانا

حتى متى لم تزدجر حتى متى؟ لابد من كأس الحمام للفتا

نفوسنا بشربه تعل (ان لم يصبها وابل فطل)

(كلا اذا بلغت التراقيا وقيل من راق) أترجو راقيا؟

من شك في المعاد فهو مجرم (وأنهم ظنوا كما ظننتم)

يحييك رب في الورا أنجدكا ولم تكن شيئا فمن اشهدكا

(أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) فقل لا أو بلى

وان أبيت السير للجهاد وحدت عن مناهج الرشاد

فلتترك الناس على جهادهم مؤمنين في حما بلادهم

واقعد ولا تنهض الى تجين فانهم في العهد مع مرين

فأخبروه الوعظ والوصيه حتى رأى تجين في القضيه

فقام غيظا قائما ثم قعد ثم نأى ثم دنا ثم ابتعد

وقال لا أصغي الى المواعظ متى غدا يعقوب لي كالواعظ؟

والله لا أقصرت عن تجين ولو رأيت النفس في سجين

أبرق وأرعد ما استطعت يا يزيد فليس لي بضائر ذاك الوعيد

والله لا تبصر لي نتاحي حتى ترا شوارع الرماح

ان قلتم اني كبير سني ما تنكر الحرب العوان مني؟

سيروا الى مرسلكم يعقوب فماله عندي سوى الحروب

فأقبلت من عنده الأرسال وحفظوا ما قاله وقالوا

قال لهم يعقوب: ما وراءكم؟ قالوا له: خيرا أبا دعائكم

عول على حرب العدو الغادر وجئه بالجنود والعساكر

فإنه على العدا ما أنجدك والله لاينسا الذي قد عودك

فارتحل المنصور في الحرم والله يدري أنه لم يظلم

فواصل السير لأرض اللاهي حتى علا في فج عبد الله

ثم التقا يوسف مع أبيه بكل ليث بطل وجيه

وكان قد وجهه اذ سارا لطنجة كي يحرس الأقطارا

وجده في أرضه مسون مرتقبا لغارة تكون

فأجمع الرأي على القتال والطعن والضراب والنزال

وكتبوا الكتب لأرض القبله وكل من في المغرب دون مهله

فارتحلوا من ظاهر الرباط وفعلهم هذا من الرباط

حتى أتا المنصور نهر ملويه ولم يكن في جيشه خمسمئه

فجاءت الأبطال تعدو كالمطر مسرعة لأمره تقفو الأثر

فنزل المنصور أرض تامه هناك جاءت طامة وطامه

في قتل ابراهيم من غير سبب لكنه الموت عليه قد وجب

وذاك أمر الله لا يرد ولو أعد الناس واستعدوا

وابن أخيه عامر من بعده وبعده مفقودة كفقده

في نصف شهر كان هذا كله سبحان من ذا حكمه وعدله

فوجدت للقول أهل البدع كل يرا بقوله المخترع

أن أحسن لك العواقبا فلا تخف من العدا مراقبا

فانما الأعمال بالخواتم والغيب للعالم لا للعالم

فأمر المنصور بالفساد في أرض من عاق عن الجهاد

فشرعوا في القمح والشعير والنهب في المقام والمسير

كأننا في وسط أرض قرطبه لافرق فيما بينها في المرتبه

من صد ذا ملك عن الجهاد وشرع الفساد في البلاد

شرعا وطبعا واجب جهاده وللامام فيهم اجتهاده

ومن يجاهدهم هو المجاهد لاسيما منافق وجاحد

بمثل هذا نزل الروح الأمين قل جاهدوا الكفار والمنافقين

فجعل الكافر والمنافقا يجاهدان فهما توافقا

جهادهم فرض بحكم الشرع فهم سواء قد أتوا بالجمع

وأقبل المنصور بالمراكب كأنها في العد كالكواكب

حتى رأت نسارهم نيرانا كأنهم في قربهم جيرانا

لما قضى الله ليغمور الفنا أنزل يعقوب بوادي تافنا

أمامه السوابق العراب وخلفه المطي والقباب

قد صنعت للطعن والهياج وألبست بالخز والديباج

منمنم مختلف الألوان تقودها الولائد الغواني

فانظر جمالا حملت جمالا وحللا قد زينت حلالا

في حرب عبد الوادي مع مرين تعجب الآساد في العرين

ان سبقت القباب للقباب وجاءت الركاب للركاب

ترا الكواعب لدا الخدور لاحت من القباب كالبدور

وكل خود لم تخف من صوله كأنها بين الخيول خوله

تحرض الخيل على مجالها وتحمل النفس على آجالها

هناك تبصر الجبان كالشجاع اذا رأى تلك الوجوه لن يراع

فهكذا كانت حروب العرب فيما مضى على توالي الحقب

فنزل المنصور حول الوادي ومنع الناس من الطراد

لأنه أبصر أن الخائنا في منعة قد حصن المساكنا

يخاف أن مروا بغير رأي أن يؤخذوا بالقتل أو بالسبي

فاشتقت الحرب بني مرين وعاند القرين للقرين

كل يقول ان تكن وقيعه أنا ابن معدي وأنا ربيعه

وكان يغمور اذا لم يأته يعقوب يبدي الحزم في فلاته

ويضرب الطبول كل وقت وذاك من حيز وسوء مقت

كذا الجبان وحده اذا خلا يبدي الطعان والضراب في الفلا

فصنع القباب بالحرير وجاء بالشاء وبالبعير

وقدم الأعراب والاشوارا لكنه ما فارق الأوعارا

في ثامن العشرين من شهر ربيع قدر أن يلقا الجميع للجميع

من بعد أن عول في الخميس أن يأتي الخميس للخميس

فجر ذاك فتية تقدموا من غير أمر في الوغا واكتتموا

وأقبلوا الى حما يغمور حرصا على الفخار والظهور

فاتبعتهم خيل عبد الوادي حتى أتوا سيفا لشط الوادي

وكان قد قال لهم يعقوب غدا تكون بيننا الحروب

فلا سبيل اليوم أن تجولوا فان يوم الأربعا ثقيل

فعندما رأى الخيول أقبلت وخيل عبد الوادي عنها أفلت

وكان قد صلى صلاة الظهر فقال قوموا للوغا والكر

لعل هذا اليوم يوم السعد فإنه أتى بغير وعد

كذاك يوم الأربعا أتاني من قبل هذا موتة السفياني

وشيخ سكسيوة ذاك الخائن مات كما مات العدو الخائن

وكان هذا أول الفتوح بموتهم والمقصد الممنوح

فركبت قنابل الجنود وأقبلت مرين كالأسود

كل الى نار الحروب يهرع ويكثر الجري لها ويسرع

ما ركب المنصور من خبائه الا وكل جد في تلقائه

كأنهم مثل بزاة جرعت وأبصرت يعاقبا قد روعت

بعض الى يغمور في القباب وبعضهم الى حما الأعراب

وكان يغمور اذا ما أبصرا منهم قبيلا مقبلا أو عسكرا

نادى مروان دون الناس مثل أبي سفيان للعباس

من هؤلاء القوم يا عبد الملك أظنهم فيهم أتا نحو الملك

فقال هذا عدد لا يحصر قد غرنا فيما يقول الأعور

عول على الفرار يا يغمور من قبل أن يدهمنا المنصور

فانه لم تبد لي قنابله وكل من أبصرته قبائله

ومالنا على الفرار طاقة ان نحن جاءت بعد هذا الساقة

ثم التقوا وحمي الوطيس واختلط المرؤوس والرئيس

والبتر في وسط العجاج تسطع كالبرق من تحت السحاب يلمع

توافقوا الى صلاة العصر حينئذ هبت رياح النصر

لما رأى المنصور أن ناسه قد قاربوا بحربهم كناسه

فجاء للحرب بدون الألف كخالد جاء بجيش الزحف

ونجله يوسف في فرسانه ويمنه ما زال عن أيمانه

لما رأتهم أقبلوا مدين قالوا أتا المنصور والمعين

فأحدقوا بالعيس والقباب وحاربوا الأعراب بالحراب

حتى رأى يغمور ما لا يقدر فصار في خلاصه يفكر

فقر في الحين وولى هاربا وخلف القباب والمضاربا

وفر في البيد على عوائده خوفا ولم يعطف على نواهده

فشتت وسط الوغا جنوده ونكست من حينها بنوده

فجاء في نحس الى حضرته ونحسه باد على غرته

قد عود الحرمان والهزائما وأحرم التأييد والمغانما

فظلمه على البرايا ظلم (ان الذين كفروا وظلموا)

ما أدرك المنصور الا الغبره لأن يغمور مضا ولم يره

ولم يقاتل بشر من معشره الا الذين سبقوا من عسكره

كل يعض ندما بنانه اذ لم يخضب في الوغا سنانه

فهزم الله الشقي وحده ونصر الله العظيم عبده

لولا ظلام بينهم قد حالا لم يلق من كأس الردا امهالا

يمهله الله ليوم قد قدر يأخذه أخذ عزيز مقتدر

فانتهب الناس جميع حلته وعجل الله به لدته

وأقبل الناس الى الصباح ينتهبون سائر النواحي

وباتت الطبول في محلته تضرب في الخيام طول ليلته

وبات في مكانه المنصور كأنه -لاكانه- يغمور

حتى اذا حان الصباح واقترب جد لكي يبيح أموال العرب

فوجد العرب الذين انهزموا لم يدخلوا الصحرا ولم يعتصموا

فأخذت بأسرها جمالهم ونوقهم وأبعدت آمالهم

وأصبحوا في الفقر من بعد الغنا بما جنوا وذوقوا شر الجنا

وامتلأت أيدي مرين بالسلب وقدر الله الغنا لم غلب

وهكذا قد جرت العوائد مصائب قوم عند قوم فائد

فجاءه أيضا أبو زيان من ونشريس دون ماتوان

ولم يزالوا في بلاد الخائن يدمرون سائر المساكن

لم يتركوا زرعا ولاسواه حتى تمادا الجوع في حماه

فحين لم يترك له بأرضه قوتا ولم يطمع ببعض بعضه

لم يبق سبج ولا سيرات زرع يرا كسائر الأقوات

قد أفنوا الديار والمجاشرا وأخلوا الحصون والمطامرا

فودعوا أيضا أبا زيان وعاد بالانعام والاحسان

من بعد أن أعطا له المنصور ونجله ما له تقدير

كم بلغة نال وكم من كسوه ومن ذخائر لهن حظوه

ثم أقاموا بعده أياما كمثل ماقد كان قد أقاما

في عامنا المقدم المذكور وفاز بالأمن وبالسرور

فارتحل المنصور نحو تازا وقد رأى آماله وفازا

وجد في المسير نحو فاس حرصا على الدخول والايناس

فدخل المنصور في شهر الصيام فاسا وشمل الملك أضحا في انتظام

في عام تسعة وسبعين بدا فيها وقد أفنى الطغاة والعدا

حتى اذا ما كان في شوال جد لمراكش في امهال

فجاءها في غرة المحرم في زينة بمثلها لم يعلم

عام ثمانين محا محاها وأبصرت بقربه مناها

فاحتفل الجنود للقاء وظهروا في أحسن البهاء

ثم ابتنا بامرأة الشقي مسعود المنافق القوي

أهبطها السعد اليه من دن وهي مع السعود لزت في قرن

أليس هذا غاية السعود وعبرة تظهر في الوجود

من خان مولاه فذا جزاؤه تملك ما قد حازه أعداؤه

لابد أن تظهر فيه القدره أمرا يكون في الزمان عبره

هذا شقي شتت القبيله وكانت العرب لها دليله

فوجه المنصور يوسف ابنه للسوس مع نول يريد أمنه

فيسر الله له مراده فيه وأبدا للورا اسعاده

فقرت العرب وجاء البعض وعهدهم ما زال فيه النقض

ولم يزل حتى أتا الجميع وكلهم لأمره مطيع

ثم أتا منصورنا كتاب من عند ألفونشو له اعتاب

يقول فيه أيها المنصور أنصر مليكا قلبه مكسور

ان النصارا نقضوا عهودي مع ولي عهدي المودود

ثار على ولدي وغيره من بعد ما قد لاح عندي خيره

لما رأوا أني كبير سني لا أحمل الرمح مع المجن

والشيخ ان وفا ثمانين سنه فحاله في العيش غير ممكنه

(ومن نعمره) يقول الله (ننكسه في الخلق) كما أراه

ربيت شانجو كي يزين ملكي اذا قضا رب العباد هلكي

ثم رأى عمري قد تمادا لا أفهم الرشاد والفسادا

قد خفيت عني وجوه الرشد وجئت في رأسي غير القصد

أرا الفساد في العلا صلاحا وأرتجي اظلامها اصباحا

وهو يرا رأي اذا أصنعه فلا يطيق دانيا يمنعه

وصرت من عجبي لهم أقول عند الشيوخ الرأي لا الكهول

حتى اذا لم يستطع تقويمي ثار ونادا الروم للتقديم

قال لهم ان أبي قد كبرا وقد رأيتم المستنكرا

قالوا رأينا رأيه وبايعوه واستمعوا لرأيه وتابعوه

فافترق الروم على فرقتين ثم رماهم نحسهم ببين

فبقي الفنش اللعين وابنه في فتنة حتى أتاه حينه

وكان في هذا سعود الدين وحكمة ظاهرة التبيين

وكان في كتابه المذكور يدعو الى يعقوبنا المنصور

هلم تلك كلها بلادي وتحظ بالطارف والتلاد

أغزو النصارا ثم تغزوهم معي فليس لي في ملكهم من طمع

فاغتنم المنصور هذا الحالا فجعلوا جوابه ارتجالا

فجاز أيضا في ربيع الثاني وملك ألفونشو ضعيف فان

وسعد يعقوب الهمام مسعد والدين للكفر مقيم مقعد

ثم أتا ألفونشو للمنصور مثل الذليل الخاضع المأسور

صخرة عناد بها أتاه وقدر الرحمان أن يلقاه

ما قصر المنصور في اكرامه بكل ما يرجا وفي اعظامه

بذاك قد أوصا النبي فاعلموه اذا أتا كريم قوم أكرموه

فاعجب لما تأتي به الأيام وما إليه تنتهي الأوهام

ثم شكا ألفونشو للمنصور بفقره وحاله المشهور

فجاد يعقوب للمنصور بعد ذاكا مالي غياث في الورا سواكا

فانه ملك أبي وجدي ومالنا عن حفظه من بد

فخذه رهنا انه منظوم ياقوته ودره معدوم

فأخذ المنصور منه التاجا ثم حباه ما إليه احتاجا

فبقي التاج لدى المنصور رهنا ليوم الحشر والنشور

فلم يزل يغزو بلاد الروم يعقوبنا والفونشو في لزوم

يغزو كما تغزو النصارا عمدا وما رعا دينا لهم وعهدا

فخرب المنصور أرض الكفره وبزها ميمنة وميسره

والفونشو أيضا فعله كفعله في أرضهم وقتله كقتله

ونجله شانجو بقصر قرطبه في ذلة ومحنة مستصحبه

لم يستطع يوما خروجا منها خوفا من أن يحاز كرها عنها

ماذا رأت قرطبة وجيان وغيرها من ذلة وخسران

حتى اذا ما أفسد الجميعا وقطع الثمار والزروعا

فحل في الجزيرة الخضراء والفونشو في اشبيلية الغراء

فسمع المنصور نجل الأحمر يذكر أمرا ليته لم يذكر

وكان يعقوب له قد أضمرا حقدا له أذكره ما قد جرا

فقام فيما بيننا النفاق وكان للدين به إخفاق

فاختلطت أمور تلك العدوه وكل دعوة تنادي دعوه

فصار ضون شانجو مع ابن الأحمر في جانب في نصره لم يقصر

وصار ألفونشو مع المنصور يغزو ويرجو النجح في الأمور

وأصل هذا الأمر فاعلم مالقه يا ليتها من السها معلقه

فيا لها من بلدة قد أعطيت عليها وكم عهود نكثت لديها

هي التي أورثت الكفارا مدائنا باهت بها الأمصارا

وانهم سيملكون ما بقي من أجلها ياليتها لم تخلق

فبقي النفاق بعض أشهر وضاقت الدنيا على ابن الأحمر

حتى اذا جاز أبو يعقوب برسم محو هذه الخطوب

فجاز في شهر ربيع الأول وسعده على الهدا لم يجهل

عام ثمانين وعامين لها جاز فلم يبق الشرور كلها

فأصلح الله به الاسلاما ورفع الله له الأعلاما

فجمع الرحمان شمل المسلمين ورجع الغزو لأرض الكافرين

فبعث المنصور بالسرايا فأقبلت بالمال والسبايا

ولم يدع في أرضهم حصونا وخرب المعمور والحصونا

ثم مضا للفرك بعد ذاكا والسعد نادى: ظفرت يداكا

فترك الأهل على بياسه وكان في نقياهم رياسه

لأنها دارت بها بلدانهم بأسرها وحشوها فرسانهم

فواصل المنصور للفرك المسير وسعده دعا له بالتيسير

فسار يومين بأرض خاليه وكل من لاقاه لاقا القاضيه

حتى اذا ما ظهر العمران اغارت الأبطال والفرسان

وجالت الخيل بأقطار البلاد فوجدوا الروم بها مثل النقاد

لو أنهم جدوا أتوا طليطله ما بينهم في البعد غير مرحله

لكنه السبي الكثير صدهم عنها, فعادوا يحملون جهدهم

وقتلوا الأعلاج قتلا في الذرا واستلبوا ما كان في تلك القرا

وامتلأت أيديهم بالسبي ومات من مات من أهل البغي

وسبق شيء ليس يقوى حصره ذو فطنة ولا يوفي قدره

ورجع المنصور في طريق غير الطريق الأول الحقيق

خوفا على السبي من الأوعار وكثرة الغيطان والأشجار

فسار بالكل قليلا في قليل ما احتاج في رجوعه الى دليل

حتى اذا ما جاز حول أبده دار يرا بروجها المشيده

ثم رماه كافر بسهم مبقل وجالب للوهم

فجاء في مركبه فماتا من حينه ولم يجد فلاتا

فسلم الله أمير المسلمين من بأسه ورد كيد الكافرين

ثم أتى المنصور للمحله وحوزها سبي العدا أظلمه

ففرح الناس بما قد اتفق وشكروا الله على فتح سبق

فارتحل المنصور عن بياسه والربض الشهير ذاق باسه

فجال في وسط بلاد الكفره مدمرا ومفسدا ما أبصره

ولم يطق شانجو على الخروج فجعلوا البروج كالسروج

لقد رأت قرطبة وجيان ومرتش وغيرها شر هوان

وحل بالأعلاج أمر لايطاق وعاد بدر سعدهم ذا المحاق

فرجع المنصور للجزيره بسببهم والنعم الكثيره

والله قد أعطاه ماقد أملا وصار آجل المنا معجلا

فجاز أيضا نحو أرض المغرب وسعده عن ناسه لم يحجب

فجاء أيضا فاس في شعبان وسعد من عاداه في نقصان

أقام فيها في سرور ودعه   وسعده المسعد لم يبرح معه

حتى اذا ما كان في شوال   سار لمراكش في احتفال

أقام في قصر سلا شهرين   يدير أمر مجمع البحرين

فحل مراكش في المحرم   وحوله كل جواد معلم

عام ثلاث وثلاثين غدا   فيها كبدر التم في الأفق بدا

... يوسف في بلاد سوس   والعرب منه في رموس ونحوس

قد دخلوا بالخوف في الصحراء   اذ حل بالساقية الحمراء

فمات بالجوع صناديد العرب   وأيقنوا بالويل منه والحرب

في كل يوم كتب المنصور   تأتيه منه: عد الى أموري

فإنني أصابني سقام   أخاف أن يعقبه الحمام

وكان قد أصابه سقم شديد   قد صار يدعو نوبه هل من مزيد؟

ونجله يوسف لم يصدق   ما قاله يوما ولم يحقق

حتى أتا من أمه كتاب جوابه منه لها الاياب

وقصده مقامه في السوس لغرض قد كان في الجلوس

لو لم يكن يحدث هذا الحال ما كان من سوس له ارتحال

وقد بدت أشياء وهو غائب في السوس جاءت أهلها المصائب

فصار من دبرها كجعفر مصلبا في جدعه لم يقبر

قتلة فتح الله فتح الله فيها فويح المستخف اللاهي

من غره ابليس فليدبر تدبيره في الملك أو فليقصر

ثلاثة لا تغفر الملوك لمن له في أمرهم سلوك:

اذاعة السر وهتك الحرم والقدح في الملك، فسلم تسلم

حتى اذا جاء أبو يعقوبا من أرض سوس أذهب الكروبا

والغرب كان أمره يضطرب وكل خلق يوسفا يرتقب

لما أتا يعقوبنا البشير بأن يوسف أتى يغير

وكان قد مات له اشتياقا فعندما أبصره يعقوب الشقيق

فزال عنه كربه والسقم بقربه ومر عنه الغم

وكان لما كان في شكيته لم يزل الجهاد في طويته

فخرج المنصور في جمادا وسار عن مراكش وحادا

فحل في قصر سلا في شعبان اذ كان مشغولا بأمر العربان

وكان فصل للشتاء صده عن سيره, فلم ييسر قصده

فمات عيسى نجل عبد الواحد حفيد يعقوب الهمام الماجد

مات بسهم في قتال الروم محتسبا للواحد القيوم

فقبره تاهت به الخضراء كما به قد تاهت العلياء

وماتت أم العز أم يوسف وكان فيها رحمة المستضعف

في سابع العشرين من شهر الصيام ماتت وكان القحط فانهل الغمام

كانت لعمر الله غيثا للورا في عيشها ويوم حلت في الثرا

فقدست من حرة شريفه طاهرة نقية عفيفه

وجاءه طلحة في ذي الحجه من بعد أن قد حج خير حجه

وكان ما قصر في وزارته قيل وأبدى الحزم في امارته

فسار عن خدمته مغاضبا ثم أتا من بعد ذاك تائبا

فغفر المنصور ما قد كانا من أمره وزاده احسانا

كذا العظيم يغفر العظيما ولا يضيع عهده القديما

فجاز للجهاد في شهر صفر رابعة بجيشه جيش الظفر

عام ثمانين مضت وأربع من بعد ستمئة فاسمع وع

فجد في المسير حين جازا وسل عضبا للعدا جرازا

حتى أتى عدوة وادي لك فانتظمت حلته كالسلك

ووجد الزرع له اقبال على شريش فاستقام الحال

اقام في موضعه المنصور والخيل في أرض العدا تغير

ولم يزل يوجه الجيوشا منذ أتا بجيشه شريشا

في كل يوم مقبل سريه تغير في اشبيلية ضحيه

ولم تزل أولاده الصغار لهم بها الى العدا مغار

ان جاء واحد من الجهاد أعقبه آخر باجتهاد

ولم يزل منصورنا على شريش لم يبق زرعا حولها ولا عريش

فجاز أيضا ولد المنصور يوسف ذو النجدة والظهور

سابع يوم ربيع الأول في جحفل أعظم به من جحفل

لم يبق نجد بطل في مغربه الا أتا مبادرا بسببه

وجاز بالخيل العتاق الضمر مسرجة لكل ليث قسور

قد جهزت بأملح الجهاز معدة للحرب والبراز

ففرح المنصور لما جازا وصار وعد نصره انجازا

ثم تلقا يوسف أباه وبالخزاكي كلها حباه

فعند ما تحقق الكفار وصوله جاءهم الدمار

وقطعوا من الحنا رجاءهم وأيقنوا بالحصر لما جاءهم

فارتحل المنصور ثم حلقا بالكافرين جيشه وضيقا

وقل في حلته الشعير لكنه القمح بها كثير

فوجه المنصور يوسف ابنه الى العدا وكان يبغي أذنه

في خامس العشرين من ربيع سار لاشبيلية بالجموع

واحتمل الجمال والبغالا لتحمل الشعير والأثقالا

فركب المنصور حتى ودعه وكان قد صلا صلاة الجمعه

فسار يوسف يجد السيرا والنصر يدعو جيشه لاضيرا

حتى اذا جاء للوادي الكبير فسرح الخيل العتاق لتغير

وجفنه لم يكتحل بنوم يا حسنه وطيبه من يوم

فجازت الخيل لشط الوادي وأمعنت بالنهب في البلاد

فبعضها أتا قريب لبله وبعضها أجرا مسير ليله

فأقبل الفرسان بالغنائم من سائر النجود والتهائم

فغطت الأغنام والأبقار تلك الربا والخيل والمهار

أما بنات الروم والأعلاج فانها ضاقت بها الفجاج

ومات بالسيف من النصارا خلق وسيق أهلهم أسارى

ويوسف يحرق الزروعا بيده ويأمر الجموعا

فعادت الدنيا كليل أليل دخانها عن أهلها لم ينجل

فلم يدع زرعا بتلك الناحيه ثم رما غابتهم بقاضيه

ثم أقام يوسف يخرب قطرهم ونحسهم يقرب

حتى اذا لم يبق في أقطارها شيئا يسر الروم في أنظارها

سار مع الوادي الكبير طالعا في العدوة القصوا لغنم جامعا

والسبي والأبقار والأغنام أمامه لم تحوها الأوهام

فعبر الوادي جميع المغنم وما أضيعت ذرة لمسلم

فعددوا عشرين ألف رأس من غنم دون انتهاب الناس

ونصف ذلك من الأبقار دون النسا والخيل والمهار

وغير ذلك من الأسلاب وغيرها من سائر النهاب

تسرا الجمال مشيها وئيدا اذ حملت شعيرها المفقودا

فجاءت البغال والأجمال ويوسف له بها امهال

ثم أتا يوسف للمنصور وقد حبى بالفتح والظهور

ثم تلقاه على شريش بكل ما قلنا وبالجيوش

فضجت الروم من الأسوار وأيقنوا بالقهر والحصار

وبدت الخيرات في المحله وكل خلق مالئ محله

ورخص اللحم مع الشعير واستمتع الناس بلا تغيير

فيا لها من غزوة مشهوره تبقا على طول المدا مذكوره

وكان في عدوة بر المائده جزيرة بالمال مثل المائده

فسار يوسف لها في البر متبعا قطائعا في البحر

فجازت الأبطال للجزيره بخيلها ثم غدت مغيره

لم يعلم الكفار ما دهاهم حتى رأوا جيش الهدا أتاهم

فبهتوا وقتلوا تقتيلا واستلبوا الأبقار والخيولا

وعاد يوسف الى أبيه وماله في الملك من شبيه

وبقيت منه بلاد الروم في حصرها وقهرها المعلوم

قد دخلوا بمالهم طليطله وتركوا خلفهم بمرحله

وذاك في نصف ربيع الثاني والكفر في ذل وفي إذعان

ثم أتاه عمر بن يحي وهو الذي في غدره قد أعيا

فجاء بالعهد من المنكب بأنه بفعله لم ينكب

قد كتب العهد إليه طلحه أخوهو هو لايشك نصحه

قال له يعقوبنا المنصور احسانه وعفوه كثير

هلم تمحو ما مضا ياعمر بخدمة في الملك أيضا تظهر

فقد رجعنا في الأنام مثلا وكلنا يموت منهم خجلا

فلم يزل طلحه حتى استنزله بقوله مكرا فخلا معقله

فعندما أبصره أخوه نادا بني عدي ان خزوه

فأخذ المسكين من بعد حيل كانت له فقاته فيها العمل

فثقف الخائن في طريف فأعجب لكون أمره الطريف

فغفر المنصور آثام عمر وزاد في الخدمة جدا واستمر

ورجع المنكب المذكور قد حازه يعقوبنا المنصور

ثم انتهى ما قلته من الرجز فلا انتهى ملككم ولا انعجز

حتى يكون رجزي يطول وملككم مدا المدا يصول

وقد تركت ذكر باقي الحركه حتى تكون هدنة أو معركه

فالله يدني الصلح للاسلام حتى يعود الشمل في انتظام

مولاي هذا رجز صنعته وفي الملوك منكم جمعته

سبقت بالتاريخ منكم أولا وفقت فيه كل خلق عولا

لو لم تكن تؤرخ الدفاتر وتذكر الملوك والمآثر

لما علمنا سير الخلائف ولا أمور سائر الطوائف

وإنما أفعالهم مذكوره مذمومة في الكتب أو مشكوره

فلنشكر الله على احسانه فأنت خير الناس في زمانه

فغنما المرء حديث بعده وكل خلق سوف يلقا وعده

حسنت في الدنيا لك المناقبا سر حسن الله لك العواقبا

ثم السلام يا أمير المسلمين عليك يا خير نصير ومعين

المصادر:

الاحاطة لإبن الخطيب ط.

الأنيس المطرب بروض القرطاس: إبن أبي زرع الفاسي ط.

روضة النسرين ابن الاحمر ط.

العبر لابن خلدون ط.

مقامة طرفة الظّريف. تحق محمّد بن شريفة : مجلّة كلّية الآداب جامعة محمّد الخامس عدد 1 ص 36

نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك/أبو فارس عبد العزيز الملزوزي الرباط: المطبعة الملكية 1963